جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم
العدد (2181) - السنة (54) ذو الحجة 1444هـ / 1 يوليو 2023م

العلمانية والحصاد المر

الكويت 750 فلساً ـ السعودية 10 ريالات ـ البحرين دينار بحريني ـ قطر 10 ريالات ـ سلطنة عمان ريال عماني ـ الأردن 1.750 دينار أردني ـ لبنان 4500 ليرة ـ المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

AR WWW.MUGTAMA.COM

EN WWW.EN.MUGTAMA.COM

المجتمع

المنصات العربية

mugtama magazin

@mugtama

@mugtama

mujtamaa@gmail.com

@mugtamaa

@mugtama

@mugtamaa

English platforms

@almujtama_en

@AlMujtama_en

@almujtama_en

@almujtama_en

اشترك أو جدد

داخل الكويت
10 د.ك

الدول العربية
17 د.ك

الدول الأجنبية
25 د.ك

المؤسسات والشركات
30 د.ك

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك: .....

العنوان: .....

صندوق البريد: ..... الرمز البريدي: .....

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560523

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN0000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2181) - (السنة 54)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:

سالم حمد القحطاني

مدير التحرير:

جمال الشرقاوي

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة.

الرمز البريدي (13049)

التحرير

22519539 - 22514180

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560523 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

العلمانية.. والحصاد المر

- الكويت.. النواب يرسمون الخريطة التشريعية لبرلمان 2023 6
- العلمانية.. وتغييب الهوية للمجتمع المسلم 10
- الإسلاميون والعلمانيون.. هل من سبيل للتعايش؟ 17
- فخ التغريب.. الوجه القبيح للعلمانية 20
- التحولات على أداء مقاومة الضفة تصدم الصهاينة 38
- سمية الغنوشي: والدي بخير ويدعو للثبات على النهج السلمي في مقاومة الانقلاب 44

مقالات

الحج.. ووحدة الأمة — جمال الشرقاوي — 33

عقوبة الله تعالى لـ«الشاذين» — د. يوسف السند — 65

قراءة في مستقبل الأديان بالعالم (٢).. ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار — د. أحمد عيسى — 66

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

العلمانية.. والحصاد المر

عقود طويلة مضت على جلب العلمانية لتطبيقها في دولنا الإسلامية والعربية في تقليد أعمى للغرب المنسلخ عن الدين، الذي كانت له مبرراته في ذلك الانسلاخ بعد سيطرة الكنيسة بجهل على مقدرات الأمور هناك، وعانى الناس من تسلط الكهنة والقساوسة واستبدادهم ووقوفهم حجر عثرة أمام أي تقدم علمي.

وكان انتصار العلمانية في معركتها ضد الحكم الثيوقراطي للكنيسة في أوروبا، كرد فعل معاكس في الاتجاه ومتفوق عليه في القوة؛ فكانت العلمانية التي استفحلت لردع القوة الدينية للكنيسة وحصرها داخل جدرانها فقط، وعزلها عن أي تفاعل مع حياة الناس.

لكن، للأسف، جاء من أبناء أمتنا وديننا من حاول إسقاط ما حدث في الغرب على بيئتنا العربية والإسلامية؛ وربطوا بجهل بين تقدم الغرب ونبذ الدين، فقدّموا العلمانية على الشريعة، وسعوا لحصر الدين داخل جدران المساجد على غرار ما حدث في الغرب، وقد وجد هؤلاء من المنابر ما نشر أفكارهم المسمومة، ومن الأسلحة ما طبقوها بالقوة في كثير من البلدان العربية والإسلامية.

لكن الواقع والتاريخ يشهدان على ما عانته هذه الشعوب جراء هذا الفصل النكد للدين عن حياة الناس، حيث لم نشهد إلا الحصاد المر في كل المجالات والمحافل، بعد أن تنسم الناس عبير الإسلام وشريعته، وما أحدثه من تطور في حياتهم.

ففي مجال العقيدة والإيمان، انتشرت في ظل العلمانية موجات الإلحاد والكفر بالله تعالى، وطغيان المادية على الروحانية التي تنتهي في كثير من الأحيان بموجات من الانتحار الذي اضطرت بعض الدول إلى تقنينه والمساعدة فيه.

وفي مجال الأسرة، لم يحصد الناس من العلمانية إلا كل مظاهر التغريب والانهيار الأخلاقي والتفكك الأسري وانتشار الزنى والسفاح والإجهاض والشذوذ.. إلخ، كما عانت المرأة التي وجدت نفسها سلعة تُباع وتُشترى ويتحكم فيها من يدفع أكثر!

وفي مجال الاقتصاد، انتشرت الكثير من الممارسات التي أدت إلى الأزمات المالية المتتالية، وعلى رأسها المعاملات الربوية، التي تنادى عدد من المختصين فيها أخيراً -بعد معاناة الإنسانية من الربا- لتطبيق بعض تشريعات الإسلام، ومنها تخفيض أو تصفير سعر الفائدة، دون أن يعترفوا بفضل الإسلام في هذا الأمر.

وحتى في المجال العلمي والتقني، لم يخل من المنغصات التي عانت منها شعوب كثيرة، وما «نووي» هيروشيما ونجازاكي عنا ببعيد، وكذلك الحروب البيولوجية والتكنولوجية التي لا يخلو منها عصر من العصور.

إن إقصاء الدين عن حياة المسلمين يستحيل معه صناعة نهضة؛ لأن الفكرة المركزية لأي نهضة لا بد أن تنبع من هوية المجتمع وثقافته الأساسية، ولا يمثل الأمة في هذا البعد سوى الدين الإسلامي.

إننا في النهاية نؤكد أن الله تعالى هو خالق الكون، وهو العليم بما يصلحه وينفعه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤)، وهو سبحانه الذي وضع من الضوابط والتشريعات ما يصلح البشر في دينهم ودنياهم، إذا أحسنوا تطبيقها.. يا ليت قومنا يعلمون!■

آيــة العـــدد

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

(البقـــرة)

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السـعودية:الشركة السـعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطـر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحـرين :
مؤسسـة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعـلانات :
امتياز الإعـلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

الكويت.. النواب يرسمون الخريطة التشريعية لبرلمان 2023

كتب – سامح أبوالحسن:

من بوابة الاجتماعات التنسيقية التي تعقد بين أعضاء مجلس الأمة، وضع النواب خريطتهم التشريعية لـ«أمة ٢٠٢٣»، وقد تم الاتفاق على أن تكون مدة دور الانعقاد الأول للمجلس شهرين على الأقل، بدءاً من الجلسة الافتتاحية والأولى التي عقدت في ٢٠ يونيو الماضي، وتنتهي في أغسطس المقبل.

وقد رسم النواب خريطة طريق تشريعية عبر إصدار ٤٩ نائباً من خلال بيان مشترك، حددوا فيه ٤ قوانين واجبة الإقرار، وهي: المفوضية العليا للانتخابات، وتعديل قانون المحكمة الدستورية، وإنشاء المدن الإسكانية، وإضافة ربات البيوت إلى «عافية».

وأكد النواب، في بيانهم الذي جاء بصيغة تعهدية بالالتزام بجدول الأولويات التي تحددها اللجنة التنسيقية النيابية المُشكّلة، الابتعاد عن الصراعات، والتنسيق مع الحكومة بشأن تلك القوانين؛ ما يعني عدم وضع قوانين تصادمية، والتركيز على القوانين التوافقية في بداية عمر المجلس.

وعلى صعيد متصل، عقدت اللجنة التنسيقية الحكومية اجتماعاً في مجلس الأمة مع اللجنة التنسيقية النيابية، للتشاور حول الأولويات التشريعية المزمع إقرارها في دور الانعقاد الأول.

٣ مشاريع قوانين

هذا، وقد تسلم مجلس الأمة ٣ مشاريع حكومية بقوانين؛ الأول بتعديل البند (٢) من المادة (٣٧) من القانون رقم (٢٣) لسنة ١٩٦٨م بشأن نظام قوة الشرطة، ومشروع بقانون بشأن اعتماد الحساب الختامي للإدارة العامة للدولة المعدل عن السنة المالية ٢٠٢١ – ٢٠٢٢م، والثالث اتفاقية بين حكومة دولة الكويت وحكومة رومانيا بشأن التعاون في المجال العسكري.

وقد طالب عدد من النواب الحكومة الجديدة بتقديم برنامج عمل وطني، يتوافق مع متطلبات الشعب الكويتي، وينسجم مع أولويات النواب، مشددين على أن برنامج الحكومة واستجابتها للإصلاح السياسي، وتحسين الأوضاع المعيشية، مدخل للاستقرار والتعاون بين السلطتين.

ودعا النواب إلى إيجاد حلول فعّالة للمشكلات المتراكمة، والتجاوب مع الاستحقاقات المصيرية، معربين عن تمسكهم بالأدوات الدستورية للمجلس.

فمن جانبه، قال النائب د. فلاح الهاجري: بعد إعلان التشكيل الوزاري، نضع الحكومة أمام مسؤولياتها، فالكويت بحاجة إلى تضافر الجهود.

وتابع أن الشعب يطلب منا ومنكم الكثير، نمد يد التعاون معكم بما تقدمون من إصلاحات سياسية وإنجازات في الملفات العالقة، واليد الأخرى تحاسب إن أخفقتم وانتهجتم النهج السابق.

أما النائب مبارك الحجرف، فقال: إن العهد الذي بيننا وبينهم هو النهج الإصلاحي الحقيقي، مؤكداً أن نهجه سيبقى مع كل حكومة هو التفاؤل بحذر، فإن أحسنوا أحسنا، وإن أخطؤوا حاسبنا.

في المقابل، أكد النائب مهلهل المضف أن التشكيل الحكومي مخيّب للآمال، ويعيد الكويت إلى الوراء، ولا يتوافق مع الخطابات الأميرية بتصحيح المسار وحسن الاختيار.

بدوره، قال النائب عادل الدمخي: إنه مع تحفظي على بعض الأسماء في الحكومة، لكنني سأسير في استخدام الأدوات النيابية بالتدرج المطلوب من السؤال والتحقيق وجمع المخالفات حتى الوصول إلى أداة الاستجواب إذا تطلب الأمر، وتابع أن الخيار بيد الحكومة، فهل هي حكومة نهج جديد، أم استمرارية للنهج السابق؟ بناء على خياركم يأتيكم الرد.

مسؤوليات كبيرة

من جانبه، قال النائب عبدالهادي العجمي: إن الحكم السليم على الحكومات هو حين تعرض برنامج عملها، وطريقة تنفيذه وفق آليات محددة.

وتابع: كما تقع على الحكومة القادمة مسؤوليات كبيرة في المرحلة المقبلة لإظهار عزمها على كسب ثقة المجلس والشعب، من خلال خطة عمل واضحة تلبي رغبات المواطنين، التي عبروا عنها في٦ يونيو.

من ناحيته، قال النائب

فهاد: ملفات معطلة بسبب عدم الاستقرار ونريد حكومة إنجاز تنحاز للإرادة الشعبية

الدمخي: سأسير في استخدام الأدوات بالتدرج من السؤال والتحقيق وصولاً للاستجواب

عبدالله الأنبعي: إن العهد الذي بيننا وبينكم هو احترام الدستور وتحقيق الإنجاز.

وفي السياق نفسه، قال النائب بدر سيار: إن الوقت مهم، والوعود كبيرة، لن ندخل في سجال عن كفاءة التشكيل الوزاري، مطالباً سمو الشيخ أحمد النواف، رئيس مجلس الوزراء، بأن يعي أن جدية تفاوض الحكومة حول أولويات النواب وفق برنامج عمل مشترك لإنجاز قوانين معطلة تفرح الشعب الكويتي هي فقط ما يقودنا إلى التعاون، ويقود البلد إلى الاستقرار.

من جهته، دعا النائب حمد العليان الحكومة الجديدة إلى التجاوب مع الاستحقاقات المصيرية، التي تقتضيها المرحلة، التي تبدأ بقراءة الرسالة الشعبية، التي عبّرت عنها بوضوح الجموع الشعبية في صناديق الاقتراع يوم ٦ يونيو ٢٠٢٣م.

وأكد العليان أن بوابة التعاون مع الحكومة تكمن في مدى احترامها لدور المجلس التشريعي وأدواته الدستورية والرقابية، مشدداً على ضرورة تقديم برنامج عمل حقيقي، والتعاون في ملف الإصلاحات السياسية المستحقة، والانسجام الكامل مع المتطلبات التنموية، حيث إن هذه الأمور تشكل شروطاً أساسية، لا مجال للتهاون فيها، أو التنازل عنها، وأنها حجر زاوية في العلاقة معها، وضمانة أساسية لاستمرار التعاون والإنجاز.

فيما قال النائب عبدالله فهاد: إنه التكليف الثالث الذي يحظى به سمو الشيخ أحمد النواف، والحكومة الخامسة التي يشكلها في بحر عام واحد، فلا وقت للمجاملة، ولا إضاعة لوقت الأمة، فهي مطالبة بإنجازات تلبي رغبة الشارع الكويتي بالاستقرار، الذي يساعدنا؛ حكومة وبرلماناً، على العمل في خدمة الكويت والكويتيين.

وأضاف: هناك ملفات كثيرة معطلة بسبب عدم الاستقرار الحكومي، والواجب أن تكون حكومة إنجاز وتعاون تنحاز إلى الإرادة الشعبية.■

غـــوالي
Ghawali

عـطـر مـركـز Concentrated Perfume Oil

الشايع
منذ SINCE 1928
الشـــايـــع للعطـــور
AL SHAYA PERFUMES

www.alshayaperfumes.com
@alshayaperfumes

مستقبل المد العلماني في الشرق الإسلامي..

وجدان الشعوب العربية ينبذ العلمانية وحصادها المر

يسعى العلمانيون في الوطن العربي والإسلامي إلى تسويق العلمانية لدى الشعوب بمختلف الأساليب والوسائل التي تحاول إظهارها على أنها المنقذ لهم من التخلف الذي يعانون منه، وفي المقابل يصورون الإسلام وشريعته على أنهما هما سبب هذ التخلف، ومن ثم فعلى الشعوب أن تنحي الإسلام -أو الدين بصورة عامة- جانباً لصالح العلمانية.

لكن هل انطلت هذه الأساليب الخادعة على الشعوب فرضيت بالعلمانية بديلاً للإسلام؟ ذلك ما يسعى إليه هذا التحقيق للإجابة عنه في السطور التالية من خلال استطلاع رأي عدد من الخبراء والمختصين والدعاة الذين يمثلون عدة مجتمعات ودول عربية مختلفة.

تحقيق – محمد الجيزاوي:

كانت البداية مع **د. حافظ أحمد الكرمي**، الناطق الإعلامي باسم هيئة علماء فلسطين، الذي أكد لـ«المجتمع» أن العلمانية مصطلح ملتبس له معانٍ ومفاهيم متعددة في الفكر السياسي بشكل عام، وإن كان له معنى شائع في الغرب؛ وهو «فصل الدين عن الدولة»، وقد حاولت بعض النخب في العالم العربي استيراده والتبشير به، وخاصة في مجال الحكم والتشريع والتعليم والتربية والثقافة والعلاقات الاجتماعية، لكن وقف لصده وحماية الأمة من آثاره الفاسدة العلماء الربانيون والحركات والأحزاب الإسلامية ومن ثم الصحوة الإسلامية لاحقاً للحد من تأثيره المباشر وغير المباشر.

وأضاف الكرمي أن كثيراً من الحكام الطغاة تستروا بدثار العلمانية وعناوينها البراقة؛ فأخذوا ما يناسبهم منها فقط دون جوهرها في حرية التعبير والتداول السلمي للسلطة من خلال صناديق الاقتراع واحترام إرادة الأمة، كما استقطبت العلمانية أحزاباً وتيارات قومية ويسارية وليبرالية وكتاباً يأخذون مفهومها الإلحادي، لكنها بقيت تيارات هامشية فقدت حضورها في وجدان الشعوب العربية منذ زمن، وتحالف معظمها بشكل مخزٍ وفاضح مع أنظمة دكتاتورية وانقلابات دموية دمرت أحلام الشعوب في الحرية.

وأكد الناطق الإعلامي لهيئة علماء فلسطين أن الاعتقاد السائد والمهيمن على وجدان شعوبنا العربية هو أن الإسلام دين ودولة، ولا يمكن الفصل بينهما مع ضرورة التوازن بين الديني والدنيوي، والسلوكي والقيمي، والمادي والروحي، والسياسي والمدني، وثبت ذلك في كل المرات التي سُمح لهذه الشعوب بالتعبير بحرية عن رأيها ومشاعرها في كافة الاستحقاقات الانتخابية.

ويرى **إيهاب نافع**، عضو المجلس التنفيذي لنقابة المعلمين، القيادي بالجماعة الإسلامية في لبنان، أن الشعوب العربية والإسلامية تدفع اليوم الأثمان الباهظة للبُعد عن دينها، وغزو أفكار أبنائها وبناتها بأخلاق بعيدة عن روح وأخلاق

الكرمي: كثير من الطغاة تستروا بدثار العلمانية وعناوينها البراقة فأخذوا ما يناسبهم منها

الإسلام، ودفعهم إلى تقبّل الإلحاد والشذوذ والإباحية بدعوى الحرية وتقبّل الآخر؛ في الوقت الذي لا يتقبّلون المتدين ولا أفكاره ولا معتقداته، وكأنّ الحرية هي أن تتقبل شذوذهم وأفكارهم ولا تتقبل الدين والتدين!

وأكد نافع أن شعوبنا بمختلف أطيافها تحصد اليوم نتيجة مرور الأمة الإسلامية بحقبة مظلمة من تحكم المحتل الأجنبي بمصير البلاد ومقدراتها وتسليمها إلى حفنة من الذين تربوا في أحضانهم، ونشؤوا على أفكار العلمانية المتوارية تحت ستار العلم والحريات، داعياً شباب الأمة إلى الرجوع لتعاليم دينهم، وتعرية فكرة العلمانية وإظهارها على حقيقتها المجردة، وفضح محاربتها للإسلام ووصمه بالإرهاب تارة، وبالرجعية تارة أخرى، ومواجهة نشرها للإلحاد والشذوذ والشرائع والمعتقدات الفاسدة.

وتنبأ نافع بأن تلقى العلمانية مصير أخواتها من الأفكار الفاسدة التي سادت في عصور سابقة، ثم ما لبثت أن انهارت واندثرت أمام عظمة دين الله تعالى الذي لا يمكن لفكرة بشرية أن تصمد أمامه، مهما حاول المنتفعون الذين تصدّروا المشهد السياسي العربي الدفاع عن العلمانية بحماس.

وقالت البرلمانية الجزائرية **عائشة بلحجار**، ود. أحمد بن شريف، الباحث في الأنثروبولوجيا، في دراسة مشتركة لهما حول العلمانية: إن مروجي العلمانية في بلادنا العربية يستهدفون الدين باعتباره ليس حقيقة، ويزعمون أن الإسلام لا يعدو أن يكون معوقاً للتنمية وبناء الحضارة، ومن هنا يكون إقصاءُ الإسلام من واقع حياة الناس في العالم الإسلامي الهدفَ الرئيس للعلمانيين العرب، ولا يمكن بزعمهم تحت أي ظرف إقامة المجتمع المتمدن وبناء الحداثة إلا بالتخلي عن كل القيم الدينية، والإسلامية منها على وجه الخصوص، وهذه الأطروحة على النقيض من القيم والأخلاق الإسلامية وأسلوب البناء المجتمعي.

واستشهدت الدراسة بمقولة المفكر عبدالوهاب المسيري بأن «العلمانية لا يمكن أن تتعمق في الوجدان الشعبي، وممارساته اليومية، ومعتقداته»، لكن رغم ذلك يمكن رصد بعض آثار

نافع: العلمانية ستلقى مصير أخواتها من الأفكار الفاسدة التي انهارت أمام عظمة دين الله

الجبة: لا مستقبل للمد العلماني في وجدان الشعوب العربية لأنها تجاوزته بجهود الدعاة

وسلبيات العلمانية في مجتمعاتنا العربية، مثل:

- انشطار اجتماعي عميق بين النخب العلمانية المتمكنة من المؤسسات والجماهير.
- تقسيم التعليم إلى ديني ومدني، وهو ما خلق انشطاراً اجتماعياً عميقاً.
- إهدار موارد الأمة في تطبيق منظومات خارج قيمها.
- الإفساد الأخلاقي للشباب والمجتمعات بما يروَّج من مخدرات، ومشروبات، وتفكك أسرى، وغير ذلك.
- إلغاء الأساس الذي بنيت عليه الأمة العربية، وبقاؤها دون مرجعية ذاتية وفي حالة تبعية للغرب.

من جهته، قال **د. سامح الجبة**، عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، العضو المؤسس للمجلس الأوروبي للأئمة: إنه ليس هناك مستقبل للمد العلماني في وجدان الشعوب العربية؛ لأن شعوب منطقتنا تجاوزت هذا كله بجهود المخلصين من دعاة الإسلام المصلحين، مهما حاول المضللون المقارنة بين واقع الحياة والتقدم التقني في الغرب العلماني، وواقع العرب والمسلمين المتخلف، زاعمين أن السبب في هذا التخلف هو الدين الإسلامي وليس بسبب الاستبداد والدكتاتورية والحكم العسكري والبُعد عن تعاليم الإسلام.

وأضاف أن مجتمعاتنا العربية المسلمة لا تعاني من تسلط الكنيسة على المجتمع كما كان في الغرب، ولا من حكم رجال الدين بـ«تفويض إلهي»، ويرفضون العلمانية وفصل الدين عن الحياة؛ لأن الإسلام يرفع قدر العلم والعلماء، والحاكم أجير عند الأمة تحاسبه وتعترض عليه وتعزلهُ إذا لزِمَ الأمر.

وقال **الشيخ شكري مجولي**، الداعية التونسي بالعاصمة البريطانية: إن المنطقة العربية لم تر في تاريخها حاكماً مغالياً في تمسكه بالعلمانية مثل الحبيب بورقيبة، حاكم تونس الأسبق؛ الذي كان يناوئ التعاليم الإسلامية، حتى إنه عطل فروضاً شرعها الله تعالى بزعم أنها تعطل الإنتاج وهي فريضة الصيام، كما أنه منع التعدد في تونس بحكم القانون، ومارس التضييق على المساجد، وأغلق جامع الزيتونة، وطارد علماءه وأعدم بعضهم، وأشهرهم الشيخ عبدالعزيز العكرمي عام ١٩٦٢م.

وأوضح مجولي أن تونس لاقت حصاداً مراً للعلمانية منذ عهد بورقيبة ومن خلفوه، حيث دعا إلى نسخ نصوص القرآن في الزواج والميراث، وسن قوانين للأحوال الشخصية مخالفة لأحكام الإسلام في الطلاق وكفاءة الزواج، والتعدد الذي منع بالقانون.

بدوره، شدد **د. كمال قرابة**، الأكاديمي والناشط السياسي الجزائري بحزب البناء الوطني، على أن ما يمكن أن يميز مظاهر العلمانية بين الجزائر وغيرها من دول المشرق العربي هو احترام الإسلام ومكانته، وعدم التجني على الدين بصفة مباشرة، وإجبار أصحاب توجه الطرح العلماني المعادي لكل ما يتصل بالإسلاميين المشاركين في العمل السياسي وفي الصراع على التراجع وتخفيف حدة عداوتهم للإسلام؛ طمعاً في الفوز بتأييد وثقة شريحة من المجتمع الجزائري المسلم.

وأضاف قرابة أنه مما يسجل أيضاً خلال السنوات الخمس الأخيرة هو تراجع أدبيات ووثائق أحد أشد الأحزاب المتصدرة للمكون العلماني في الجزائر؛ حيث تم حذف كلمة «العلمانية» بشكل كبير؛ مما يعني وصول منظريه لقناعة بوقوف هذا المصطلح عائقاً لأي تمدد شعبي وجغرافي، أو أي توسيع للحاضنة الناخبة في عموم الجزائر، والتأكد من حساسية الشعب الجزائري الدائمة من العلمانية؛ نظراً لتمسكه الوثيق بالدين الإسلامي كأهم عناصر الهوية الوطنية ورمز وحدته وانتمائه الأممي والحضاري.■

مجولي: المنطقة العربية لم تر حاكماً مغالياً في تمسكه بالعلمانية مثل بورقيبة

العلمانية.. وتغييب الهوية للمجتمع المسلم

د. حاتم عبدالعظيم
أستاذ مساعد في الشريعة الإسلامية

تبدو العلاقة بين العلمانية والإسلام مسألة شديدة الارتباك في المشهد الفكري المعاصر بين من يحصر العلمانية في طورها التاريخي الأول، متجاهلاً ما طرأ عليها من تطورات كبيرة، فيراها مجموعة من الإجراءات التصحيحية التي أرادت أن تحرر العقل من سلطان الكهنوت، والعلم من خرافات الكنيسة، والحياة الاجتماعية والسياسية من الاستبداد المتلفع بالقداسة الدينية، وهؤلاء يرون أن العلمانية كانت ضرورة لطي صفحة التخلف وابتداء دورة حضارية جديدة استطاع الغرب فيها تحقيق نهضته المعاصرة، ويرون أن هذا المستوى من العلمانية «الإجرائية» أو «الجزئية» قابل للاستنساخ، وصالح للمحاكاة في بيئتنا الإسلامية.

في حين يرى آخرون العلمانية في طورها الذي انتهت إليه -على ما بين البدء والختام من تباعد- ويرى هؤلاء أن العلمانية في صورتها المعاصرة عقيدة مكتملة الأركان تصبغ المجتمع والفرد على حد سواء بصبغتها التي تقوم على أركان أربعة، هي: إنسان بلا إله، ودنيا بلا آخرة، وشهادة بلا غيب، ومادة بلا روح.. على نحو ما نجده عند «ماركس»، الذي زعم أن الدين أفيون للشعوب، هكذا بهذا الإطلاق والتعميم الذي يجعل كل الأديان سواء ويضعها في سلة واحدة.

أما «نيتشه» فقد امتطى علمانيته الشمولية ليعلن في صفاقة كاملة موت الإله ونهاية هيمنته على الحياة البشرية، ورفع «سارتر» لواء الوجودية ليضع البشرية أمام خيارين لا يمكن الجمع بينهما، هما الحرية والإيمان: «إما أن أكون حراً، أو يكون الله موجوداً»، وهذه مسألة مركزية في فهم المضمون العلماني، فالعلاقات دائماً حدية والخيارات دائماً بين متناقضات: فإما دين وإما دنيا ولا يمكن الجمع بينهما، وإما عقل وإما نقل ولا سبيل لجسر الهوة بينهما، وإما علم وإما وحي ولا يلتقيان، وإما بحث تجريبي وإما إيمان غيبي ولا يجتمعان.

وقد حسم المشروع العلماني خياراته على هذا الأساس من الحدية دون اعتبار لما قدمه التصور الإسلامي من مزاوجة بين هذه المفاهيم بحيث تتكامل ولا تتعارض.

فالعقيدة العلمانية على هذا النحو الذي آلت إليه دنيوية الموضوع مادية التصور بشرية المنتهى ترفض الغيب وتقصي الدين ولا تتصاع لفكرة الإله الخالق، والعلمانية الاجتماعية أو السياسية أو غيرها هي انعكاس لذلك التصور العقدي الذي يفسر الوجود ويحدد موقع الإنسان منه وغاياته ومقاصده وفقاً لذلك، فالإنسان هو محور الوجود وصاحب السيادة عليه، والغاية من وجوده هي تحقيق أقصى درجات اللذة والمنفعة، والطريق إلى ذلك إتاحة الحريات المطلقة، والموانع التي تحول دون ذلك ستكون في المقام الأول موانع دينية وأخلاقية واجتماعية ترتبط بأعراف المجتمع وتقاليده.

لذلك عمد المشروع العلماني إلى كسر هذه الثوابت بالتدريج وصولاً إلى فرض نموذجه الذي بات يتعامل مع قضية «المثلية»، على سبيل المثال، بوصفها جزءاً من الأيديولوجيا العلمانية التي يراد لها أن تصبح القانون الاجتماعي الأول، معلنة الانتصار على كل خصومها على المستوى الديني والاجتماعي والأخلاقي.

وفي ضوء هذا يمكن لنا أن نفهم لماذا تتعامل العلمانية مع الهوية الإسلامية بوصفها تهديداً مباشراً للمشروع العلماني؛ فتتحالف الديمقراطية العلمانية الغربية مع نسخ علمانية إقصائية استبدادية تعيد إلى الأذهان نماذج

الحكم الاستبدادي الذي ثارت عليه العلمانية الأولى!

والحديث عن العلمانية الجزئية في ظل هيمنة تيار العلمانية الإلحادية الشمولية على المشهد برمته هروب من الحقيقة الماثلة إلى الأمنيات الفارغة، والحقيقة أن هذه النسخة العلمانية تمثل تهديداً وجودياً للمجتمع المسلم، فهي لا تقتصر على فصل الدين عن الدولة، لكنها تعمل على فصل الدين عن الحياة برمتها.

وفي موسوعة العلوم السياسية الكويتية: «العلماني عكس الديني، ويستخدم اصطلاحاً للإشارة إلى مدخل للحياة ينفصل تماماً عن الدين، ويتشكل كلية باهتمامات زمنية دنيوية، وهي على المستوى الشخصي تعني: استبعاد الحس والشعور الديني من نظرة الفرد إلى جميع الأمور التي تتعلق بحياته وعلاقاته وسلوكياته، ومعاملاته السياسية وغيرها، والعلمانية على المستوى العام هي: المذهب الذي يؤمن بضرورة إبعاد المؤسسات والمضامين الدينية عن ممارسة أي تأثير في أي من مجالات الحياة، بما في ذلك التعليم والتشريع والإدارة» (موسوعة العلوم السياسية، مادة «العلمانية»، ص ٢٩٧-٢٩٩).

وتتمثل الأخطار التي تحملها العلمانية على المجتمع المسلم فيما يأتي:

١- **مصادمة الأساس العقدي الذي ينبني عليه كيان المجتمع المسلم ويتربى عليه أفراده:** فالمسلم يعتقد أن الله تعالى خلق وملك ودبر وأمر: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤)، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الملك: ١).

٢- **تذويب المرجعية:** يمثل الإسلام؛ عقيدة

أركان العلمانية: إنسان بلا إله.. دنيا بلا آخرة.. شهادة بلا غيب.. مادة بلا روح

وشريعة، حصناً للمجتمع المسلم ومرجعية ثابتة ضابطة ينطلق منها ابتداء ويرجع إليها استدامة، وهذه المرجعية تمنح المجتمع المسلم الاستقرار والاستمرار والتفاهم بين أفراده، ومن الخطورة بمكان أن يتم العبث بمرجعية مجتمع من المجتمعات خاصة إذا كانت مستقرة ثابتة؛ إذ يؤدي ذلك إلى الفوضى والتآكل الاجتماعي، لذلك جعل الله تعالى وحيه بمثابة الروح للأمة المسلمة بحيث تفقد وجودها الحقيقي إذا فقدت مرجعيته الحاكمة: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (الشورى)، والعلمانية تسعى إلى إقصاء الدين إقصاء كاملاً، فلا بد من الفصل بين ما هو ديني وما هو دنيوي، ولا بد كذلك من ازدراء ما كان دينياً والاحتفاء بما كان دنيوياً، وهذا يؤدي إلى انفراط عقد المجتمع حين يبدو أن كل شيء مطروح للنقاش وخاضع للتقييم والتغيير!

٣- **تقويض الأسرة وتفكيك منظومتها:** يبدو جلياً أن الأسرة المسلمة تمثل هدفاً رئيساً للمشروع العلماني، وإن مر هذا الاستهداف بمراحل وأطوار؛ فبدأ الأمر بانتقاد مسائل بعينها مثل: تعدد الزوجات، وانفراد الرجل بالحق في الطلاق، وتمييز الابن عن البنت في الميراث.

٤- **توجيه الطاقة البشرية للأخذ عوضاً عن العطاء:** تقوم الفكرة العلمانية على ترسيخ مفهوم الفردانية على حساب الجماعية التي ينشدها الإسلام، والفردانية العلمانية لها مستويان رئيسان، هما: فردانية المتعة، وفردانية الاستهلاك أو اللذة والسوق.

ففي الوقت الذي يسعى الإسلام لضبط الشهوة وتوجيهها في إطار بناء المجتمع والحفاظ على تماسكه السكاني والأخلاقي، يسعى النموذج العلماني لإطلاق الشهوات إلى حدها الأقصى ولو على حساب المجتمع، فالفرد عندهم قبل الجماعة.

٥- **تكريس الاستبداد والانسداد السياسي والاجتماعي:** يبدو جلياً أنه لا سبيل أمام المشروع العلماني في بلادنا إلا استخدام أعتى صور الاستبداد لعلمه المسبق أن إتاحة الحرية لا تؤدي لما يريده، والخيار واضح؛ إما حرية يترتب عليها ترسيخ الهوية الإسلامية، وإما إقصاء لهذه الهوية يحتاج إلى استبداد وقمع ليغالب خيارات المجتمع وموروثاته.

وإزاء هذه التهديدات الجمة التي تمثلها العلمانية الشمولية لاستقرار مجتمعاتنا، فإن الخيار الأول هو الأخذ بكل الأسباب الممكنة لتربية النشء على قيم الإسلام وأصول حضارته الراشدة، بحيث لا يكون أسيراً لشهواته ولا حبيس أهوائه، والذود عن الأسرة التي هي نواة المجتمع المسلم وركيزته الأولى حتى تبقى صامدة راسخة حامية لحاضر الأمة ومستقبلها، والسعي إلى مزيد من الحريات السياسية التي تتيح المجال للنقاش الفكري الحر.■

المشروع الإسلامي والعلمانية.. بين الاتفـاق والافتـراق

إن الحديث بشأن الخلاف والمواجهة فيما بين الإسلام والعلمانية يرجع بالأساس إلى الحقبة الاستعمارية، إذ نهض الشرق من سباته العميق على وقع دوي المدافع الأوروبية قادمة من الغرب بإعلان التحديث الإجباري، في تلك اللحظة التاريخية الحاسمة، كان العالم الإسلامي على موعد مع تفجر الثنائيات التي سيظل الفكر العربي والإسلامي أسيراً لها لما يقارب القرنين من الزمان، ثنائيات تطرح أسئلة عن بدائل متنافرة في الطريق نحو النهضة واستعادة الأمجاد، وذلك من قبيل: التغريب أم الأصالة؟ الحاكمية أم العلمانية؟ الحداثة أم التراث؟

وقد فرضت تلك الثنائيات قيداً فكرياً مُحكماً على العقل الإسلامي، وعرقلت بفعل موجة التحديث المسلحة من التطور التدريجي والمنطقي للفكر المستجيب لحاجات واقعه العضوية والمنطلق من أسئلته الخاصة لا أسئلة مجتمعات أخرى شديدة الاختلاف وبعيدة الشُّقة عنه.

د. مـي سميـر
دكتوراة في العلوم السياسية – جامعة القاهرة

عن تلك اللحظة التاريخية المهمة وما فرضته من تحديات، يقول الباحث وائل حلاق، في كتابه «الدولة المستحيلة»: إن الاستعمار الأوروبي عمل على تفكيك النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي كانت تنظمه الشريعة، ليتم تفريغ الشريعة من مضمونها، ليقتصر دورها منذ ذلك الحين على تزويد تشريعات قوانين الأحوال الشخصية في الدولة الحديثة بالمادة الخام، وحتى في هذا النطاق الضيق فقدت الشريعة استقلالها ودورها كفاعل اجتماعي لمصلحة الدولة الحديثة.

من أجل ذلك، فإن الاحتلال الغربي بنقله للقيم الغربية الحداثية من ديمقراطية وليبرالية وعلمانية بقوة المدافع الغاشمة قد عمد إلى تشويش العقل الإسلامي عن فهم احتياجات الواقع وأسئلته الحقيقية، وأعاقه عن تقديم إجابات تنبع من اجتهاده الخاص الذي يراعي خصوصياته ولا يغفل عن الانفتاح الواعي على الآخر، ثم ما لبث أن جُرد ذلك العقل من أدواته الشرعية والإسلامية، وجُرفت موروثاته الثقافية لمصلحة التغريب والتحديث، وبذلك حِيلَ بين هذا الفكر وتقديم اجتهاد خاص يعالج مشكلاته المجتمعية بحلول نابعة من خصوصياته الثقافية والدينية.

العلمانية لا تلتزم بالقوانين من دون منفعة بينما الإسلام جاء برسالة تستهدف الأخلاق لذاتها

العلمانية تقدم تساؤلات تعمق فهم التيار الإسلامي للواقع حول المساواة والعدالة والمواطنة والحريات

العلمانية تترك وراءها مشكلات تتعلق بالهوية والقيم أما الإسلام جاء لتقديم الوازع الديني والأخلاقي

الفكر الإسلامي انشغل بثقافة الدفاع أكثر من تقديم مشروعه الخاص النابع من داخله

سؤال العلمانية.. هل يحتاج إلى طرح؟

من بين أهم التساؤلات التي قد فرضها الاحتلال الغربي على العالم الإسلامي سؤال العلمانية، ومدى التنافر والتوافق فيما بين الرؤية العلمانية للعالم والرؤية الإسلامية، وما إذا كان الحكم الإسلامي الحديث قادراً على إدارة الدولة بأسلوب يسوده العدل والمساواة فيما بين مواطنيه، أم أن المساواة تتطلب التخلي كلياً عن الخلفية الحضارة الإسلامية للدولة؟ وعن تلك التساؤلات التي فرضها الغرب، يقول الباحث أنتوني بلاك، في كتابه «الإسلام والغرب»: في الدول الإسلامية كانت الأفكار الجديدة التي تطورت غالباً، رد فعل على الغرب أكثر من الحوار معه.

فقد انشغل الفكر الإسلامي بثقافة «الرد على» أو «الدفاع عن» أكثر مما انشغل بتقديم مشروعه الخاص واجتهاداته الخالصة النابعة من داخله بشأن القضايا المتنوعة، بل ذاعت كتابات المقارنة فيما بين «الشورى والديمقراطية» أو «الاشتراكية والإسلام»، وانبرى المسلمون لتقديم دفوعاتهم بشأن شمول الإسلام لأغلب المفاهيم الغربية عن طريق المقابلة فيما بين تلك المفاهيم والمفاهيم الإسلامية، وهي مقارنات ودفاعات وضعت الإسلام دوماً موضع التابع أو المتهم، وقد عرقلت تلك الانشغالات من اجتهادات حقيقية كان يمكن صرفها إزاء مناقشة قضايا حقيقية وتقديم اجتهادات مبتكرة لصياغة مشروع إسلامي متكامل.

ويعد سؤال العلمانية من أبرز التساؤلات التي فُرضت على العالم الإسلامي بغير وجه حق، إذ لم يكن الدين في السردية التاريخية الإسلامية يشكل أزمة بالقدر الذي فعله الدين المسيحي في السردية التاريخية الأوروبية، وبذلك لم يكن للتساؤل بشأن فصل هذا الدين وعزله عن الحياة العامة من مجال، وهو ما يقتضي مراجعة شاملة لأهم قضايانا الفكرية ومناقشاتنا الثقافية من أجل إعادة تحديد المفاهيم ومضامينها وتهميش القضايا غير الجوهرية لمصلحة انشغال الفكر الإسلامي بالمسائل الأكثر تأثيراً وإلحاحاً في الواقع.

الإسلام والعلمانية.. افتراق دائم

إن الخلفية الرئيسة التي ينطلق منها الإسلام والعلمانية شديدة التنافر والافتراق، فالعلمانية تترك وراءها العديد من المشكلات التي تتعلق بالهوية والقيم الأساسية وكيفية المحافظة على الاحترام الاجتماعي، أما الإسلام فقد جاء لتقديم الوازع الديني والأخلاقي لحمل الناس كافة على الخلق الرفيع والمودة والرحمة والرفق، وبينما تسعى العلمانية لتمييع الهوية وتبديل الانتماء من الدين إلى الدولة القومية الحديثة، فإن الإسلام قدم رابطة أساسية قوامها الدين فيما بين المسلمين عبر أنحاء العالم، وبذلك أصبح المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وعلى صعيد الالتزام والانضباط، فإن النفعية هي ربيبة العلمانية، إذ لا يمكن الالتزام بالقوانين والأخلاق من دون تحقيق منفعة ما من ورائها، بينما الإسلام قد جاء برسالة أخلاقية سامية تستهدف الأخلاق لذاتها والانضباط القائم على المحبة والخوف من الله تعالى، وهو وازع أقوى رسوخاً وأعلى شأناً من فكرة النفعية الغربية الخالصة، إذ خلف ذلك المبدأ النفعي انتشار الجرائم وشيوع العدمية الأخلاقية، ولذلك فإن كفاح المسلمين اليوم، بحسب وائل حلاق، ينبع من غياب الانسجام بين تطلعاتهم الأخلاقية والثقافية من جهة، والواقع الأخلاقي للعالم الحديث من جهة أخرى، وهو واقع لا بد لهم من العيش فيه، وإن كانوا لم يصنعوه.

فالعلمانية والديمقراطية والتصنيع والتحديث كلها منتجات نشأت في الغرب بحسب تطور تاريخي معين، جعل الغرب يعيش براحة كبيرة في حاضر صنعه هو بنفسه، بينما فُرضت تلك المنتجات الغربية الخالصة على الواقع الإسلامي، وطرحت نفسها بالقوة دونما تدخل من المسلمين، ودون أن يشعروا بحاجة حقيقية لتلك المفاهيم الغربية والغريبة عليهم كُلياً، بل تم إرغامهم على التخلي عن تحقيق نهضة حقيقية مبنية على موروثاتهم الثقافية والتاريخية والهوياتية لمصلحة تحديث غربي لم يطلبوه ولم يكونوا في حاجة إليه.

ماذا يمكن أن نفيد من العلمانية؟

في كتاب «الخيال السياسي للإسلاميين»، تشير د. هبة رؤوف إلى النظرة السلبية نحو الجدل الإسلامي العلماني باعتباره مؤامرة غربية تستهدف تقويض دعائم الإسلام والحركة الإسلامية، بينما يمكن الإفادة من العلمانية في تجديد الاشتباك مع الفكرة بغض النظر عما إذا كان قائلها قد أراد بنا سوءاً، بدلاً من أن نظل قروناً لا ننظر في الفكرة ولا في الحجة، بينما الأصل في الشرع الإسلامي تمحيص الأفكار والنظر في أوجه المقولات.

من هنا، فإن الإفادة الأهم من جدل الثنائيات الذي أحكم سيطرته على العقل الإسلامي إعادة إثارة الأفكار مرة أخرى بعقلية واعية وبصدر رحب من أجل مزيد من الفهم؛ ومن ثم القدرة على المحاججة، بدلاً من ثقافة الرفض المُطلق والهجوم المتشنج؛ إذ يفتح النقاش والجدل آفاق الفكر وتنشيط العقل للإتيان بالاجتهاد اللازم، ومن ثم تفنيد الأفكار غير النافعة وتجاوزها.

ومن ناحية ثانية، تقدم العلمانية تساؤلات مهمة تسهم في تعميق فهم التيار الإسلامي للواقع من حوله؛ إذ يفرض واقع اليوم على الحركة الإسلامية تقديم اجتهادات متنوعة في مسائل مُعلقة دون إجابات، مما يتطلب تقديم اجتهادات عصرية عن المساواة والعدالة والمواطنة والحريات لتبديد الشكوك بشأن الفكر الإسلامي ورؤاه في تلك القضايا، وبما يُعجل من حسم الجدل بشأن العلمانية طالما قدم الإسلاميون بديلاً مناسباً بدلاً من الرفض التام.■

العلمانية في الشرق.. مقومات البقاء وعوامل الفناء

مُساءلة العلمانية اتجاه متصاعد في الفكر الغربي، يرفض النظر إليها كأيديولوجيا مقدسة، ويناقش جدواها بعد قرون من الاقتناع والتطبيق، رغم أنها أنتجت حلولاً لمشكلات مستعصية في التجربة الغربية، منها التلازم بين السلطتين الدينية والسياسية، والحروب الدينية، وانتشار التعصب.

يطرح هذا الاتجاه الجديد فكرة «ما بعد العلمانية» التي تؤشر لعودة القيم الروحية والأخلاقية للعلمنة، ويعتبر الفيلسوف الألماني «يورغن هابرماس» الأكثر استخداماً لهذا المصطلح، وكذلك مشروع الفيلسوف البولندي «زيجمونت باومان» لنقد الحداثة الغربية، وكذلك المفكر الكندي «تشارلز تايلور» في كتابه «العصر العلماني».

ولكن، ماذا عن مساءلة العلمانية العربية، التي تبدو مصطلحاً غير مقبول، وسيئ السمعة، ليس على مستوى الطرح الفكري فقط، ولكن على مستوى التطبيق، الذي جاء مقروناً بالانغلاق والتعصب، ومقاومة الديمقراطية، وقمع الحريات، والتأسيس لنموذج الدول القمعية والفاشلة، واتخاذ التجربة الغربية مرجعية ومعياراً.

فهل كانت العلمانية نتاج حراك وصراع أفرزته البيئة والمجتمعات العربية، أم أنها تجربة وأفكار هبطت عليها من الخارج؟ وهل كانت حلاً للمشكلات العربية، أم أضافت أزمة معقدة إلى أزمات المنطقة؟ وهل أنتجت العلمنة نموذجاً للتحديث في البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، أم كانت فشلاً جديداً، ولم تؤد إلى تقدم أو نهوض؟

مصطفى عاشور
كاتب مهتم بالشأن الثقافي

العلمانية العربية لم تكن إجابات عن تساؤلات وأزمات عانى منها الواقع العربي والإسلامي، ولكن كانت اقتباساً للتجربة الغربية ومحاولة إسقاطها قسراً على المجتمعات العربية، لكن الأخطر هو تعامُل المثقفين العلمانيين معها وكأنها أيديولوجيا دينية، رأوها طريقاً وحيداً لبناء المجتمع العربي الحديث، وصيرورة تاريخية لا بد أن تذعن لها المجتمعات العربية.

في كتابه «نقد النص»، انتقد د. علي حرب، المفكر اللبناني، العلمانية العربية، فرغم أن الفكر العلماني الحديث أخذ يغادر منطقة اليقينيات، ويتحرر من الأنساق المغلقة والمذاهب الشمولية، فإن التجربة العلمانية العربية ما زالت أسيرة لمقولاتها، وصراعاتها الموهومة، فيقول: «والأهم بالنسبة إلينا، نحن العرب، أن مقولات التنوير والتقدم والتحديث والعلمانية لم تؤت ثمارها، بل فقدت مصداقيتها وغدت مجرد أسماء يتعلق بها الدعاة المحدثون كما

رغم تشدق العلمانية بالعقلانية فإنها سعت لاحتكار السلطة وتجريم الأفكار المنافسة

.. ورغم ادعائها بحرية الفكر فإنها اتبعت نهجها استبدادياً إقصائياً مع الآخر

.. وبدلت موقفها المناهض للتخلف الحضاري ليكون مناهضاً للدين كما التجربة الغربية

يتعلق المؤمن باسم ربه».

ووجَّه حرب انتقاداً حاداً لأحد أقطاب العلمانية، وهو د. حامد نصر أبو زيد، فوصفه بأنه «تقدمي علماني في ملفوظاته، ولكنه أصولي من حيث منطقه وبنية تفكيره، فهو يتعامل مع مقولاته كما يتعامل الأصولي مع أصوله الثابتة»، ونموذج أبو زيد متكرر في تعاطي المثقف العلماني مع الواقع العربي، حيث يرى هؤلاء أن الأزمات العربية نتاج للنص الديني، وليس نتاجاً لسلطة الدولة الاستبدادية، التي نشأت من رحم التجربة الاستعمارية الغربية، وأسست للقمع والفشل.

ورغم تشدق العلمانية العربية بالعقلانية، فإنها كانت أبعد عن ممارستها، فقد سعت إلى احتكار السلطة والشرعية وقمع كل الاتجاهات والأفكار المنافسة، ومصادرتها وتجريمها، وتعاملت مع شعارات العلمنة كأنها مطلقات واجبة الإذعان، وهو ما جعل العلمنة جزءاً من الأزمات العربية.

نهج إقصائي

ورغم ادِّعاء العلمانية تمسكها بحرية الفكر، فإن قبولها للآخر كان نادراً، فكان نهجها استبدادياً إقصائياً؛ بل إن علاقتها مع الحريات جاءت مطبوعة بالاستبداد، ومساعي فرض النموذج بالقوة والقسر وليس بالحرية والديمقراطية، فكان احترامها للرأي الشعبي قليلاً، وإحساس العلمانيين العرب بنخبويتهم كان عالياً ونرجسياً؛ فترفعوا عن الشعب، وانحصروا في مقولاتهم متغافلين عن الواقع، فكان خطابهم لأنفسهم، وكما يقول حرب: «إنه لا يوجد علماني واحد أنتج فكراً ذا أهمية حول المجتمع العربي».

بدلت العلمانية العربية موقفها المناهض للتخلف والتراجع الحضاري، ليكون موقفاً مناهضاً للدين على غرار التجربة الغربية، ففي الحالة الغربية نشأت العلمانية، لمواجهة سلطة الكنيسة المستولية على السلطة الزمنية، غير أن العلمانية العربية اقتبست التجربة الغربية وهي مغمضة العينين، فخاضت معركة موهومة مع الدين بعدما حمَّلته مسؤولية الفشل.

كذلك، فإن العلمانية العربية لم تسع فقط -في أغلب التجارب- إلى فصل الدين عن الدولة، ولكنها سعت لفصل الدين عن جميع مجالات الحياة، متحدية تجذر الدين في الحالة العربية، كما أن مساعيها لاستبدال القومية بقوة الدين؛ أوجد صراعات وانقسامات عنيفة ودامية في الحالة العربية وحروباً أهلية، ومن الممكن قراءة تجربة الأحزاب القومية العربية خاصة حزب البعث في نسختيه العراقية والسورية.

ويبدو أن الأديب اللبناني أمين معلوف كان مصيباً في قوله: «الدكتاتوريات التي تدّعي العلمانية هي مناجم التعصب الديني»، لذلك سعت العلمانية العربية لهز ثقة الشعوب في دينها، فنجد الرئيس التونسي الراحل الحبيب بورقيبة شكك في فريضة الصيام، وادعى أنها تقلل الإنتاج، وألغى الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر القضاء الشرعي في سبتمبر ١٩٥٥م، فألغى ١٣٧ محكمة شرعية، وبذلك تحولت إلى سلطة الدولة لتكون صارمة في مواجهة الدين، رغم أن الإسلام لا يعرف الكهنوت، على

خلاف التجربة المسيحية، فإذا كانت نشأة العلمانية في السياق الأوروبي لها ما يبررها، فإنها تفتقد تلك المبررات في الإسلام.

إشكالية الاستبداد

ومن ثم فإشكالية العلاقة بين الدين والسياسة لم تكن مطروحة في السياق الإسلامي، ولكن الإشكالية الحقيقية كانت الاستبداد، تلك المسألة التي يأخذ الدين منها موقفاً حاسماً، رغم استخدام السلطة السياسية لبعض علماء الدين لإسباغ الشرعية على استبدادها؛ لذلك فإن المتابع لتاريخ النهوض الإسلامي في العصر الحديث سيلحظ أن أغلب دعاة مقاومة الاستعمار والدعوة للديمقراطية والحكم النيابي كانوا يقفون على أرضية إسلامية، وكانوا من علماء الدين ومُصلحيه، وكان هؤلاء يرون تلازماً بين الإسلام والإصلاح والنهوض والتقدم.

يحمل التطبيق العلماني ذاكرة سيئة؛ بل ومرعبة، فالعلمانية عندما أمسكت بمقاليد السلطة كانت إقصائية، ففي التجربة التونسية، عانى التدين من التضييق والتجريم، فكانت محاربة الحجاب، وكان قمع التعليم الديني، مثلما جرى في تونس في الزيتونة، فكان من أوائل قرارات دولة الاستقلال إلغاء التعليم الزيتوني، في نوفمبر ١٩٥٨م، وكانت العلة توحيد الأنظمة التعليمية؛ وهو ما انعكس في بناء الهوية التونسية، التي كان يرغب بورقيبة في بترها عن جذورها الإسلامية العميقة، وفي التجربة الناصرية تم إفقاد المؤسسة الأزهرية لاستقلالها مع قانون عام ١٩٦١م، الذي أخضع سلطة شيخ الأزهر لوزير الأوقاف، وأضعف استقلال الأزهر.

العلمانية العربية لم تكن إجابات لأزمات الواقع وإنما اقتباس غربي وإسقاطه على الشرق

الدولة العربية ذات التوجه العلماني فشلت في التنمية وحتى في ميادين القتال

لم تكتف الدولة العلمانية العربية بالفصل بين السياسة والدين، وإنما سعت للاستيلاء على الدين وتأميمه على مدار تاريخها، فرأت أنه وسيلة لتحقيق شرعيتها جماهيرياً، ورفضت أن يكون له دور سياسي فاعل، داخل المجتمعات، لذلك كانت الدول العلمانية ذات ميول انقلابية، وتجلى ذلك في التجربة الديمقراطية بالجزائر التي فازت فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ، عام ١٩٩١م، في جولتها الأولى، فتم إلغاؤها، إذ كانت العلمنة تفرض وصايتها بالقهر على الشعوب.

فشل التنمية

وعلى مستوى الفشل، كانت الدولة العربية ذات التوجه العلماني فاشلة في أغلب تطبيقاتها، بل كانت هزائمها منكرة في التنمية وحتى في ميادين القتال، ففي التنمية

لم تؤد المشاريع التنموية، سواء ذات التوجه الاشتراكي أو القومي، إلى نهوض اقتصادي، أو تحقيق تنمية حقيقية، ولكن كان أغلبها فقاعات نفخت فيها السلطة من روحها، ثم تبين حجم الفشل والفساد في تلك المشاريع، فتم التخلص من آثار التجربة من خلال بيع القطاع العام والتحول نحو الخصخصة؛ فتوسع الفقر حتى التهم الكثير من فئات الشعب، وأخذت الطبقة الوسطى في أغلب المجتمعات العربية تتآكل بفعل سياسات التنمية الفاشلة.

وفي مجال الحريات، كان القمع شديداً، فلم تعرف الدولة ذات التوجهات العلمانية إلا إهدار الحريات، وتغييبها للنهج الديمقراطي، وتناست العلمانية العربية أن مشكلتها ليست مع الدين بوصفه ديناً، بل مع الدولة المستبدة، وعندما ضلت المواجهة، كانت الانقسامات عميقة داخل المجتمعات بفعل العلمنة، وكان من الواجب أن تواجه العلمانية العربية هيمنة حفنة معينة من النخب على القرار والموارد دون الشعوب، أو ممارسة مؤسسات معينة للاستبداد، لكن العلمانية العربية فضلت المواجهة الآمنة مع الدين، دون مواجهة السلطة المستبدة، مما رسخ الأزمات.

مستقبل العلمانية العربية لا ينفك عن واقعها المأزوم، لكن المستقبل لا يرحب كثيراً بالعلمنة في أغلب التجارب العالمية، ويعتبرها مسؤولة عن أزمات عميقة للإنسان المعاصر، ورغم ذلك يغرد العلمانيون العرب بنفس أفكارهم ومقولاتهم العتيقة التي لا تجديد فيها ولا إبداع.■

الإسلاميون والعلمانيون.. هل من سبيل إلى التعايش؟

ذكّرَنا رواد التواصل الاجتماعي بمقارنة بين ياباني ومصري أواخر القرن التاسع عشر، حيث كان كل منهما مبعوثاً إلى الغرب للدراسة على حساب حكومته؛ الياباني ياتارو أيواساكي قضى ٤ سنوات شاقة لينقل إلى بلاده سر صناعة السيارات، واستطاع بدعم الإمبراطور إقامة مصنع صغير، توسّع فيما بعد ليكون مؤسسة كبرى ذات اسم عالمي يتردد في أرجاء الأرض، اسمه «ميتسوبيشي»، أما المصري قاسم أمين فعاد بعد ٤ سنوات ليشغل الناس بموضوع المرأة وسفورها وتحررها.

اليابان تتقدم على طريق التصنيع والإنتاج والمعرفة دون أن تغيّر معتقداتها أو تُقصي فريقاً من شعبها عن العمل والمشاركة، أما الشرق الإسلامي فما زال «يلتّ ويعجن» فيما يسمى تحرير المرأة، ويُقصي الأكثرية الساحقة عن الإسهام في الحياة العامة وصناعة المصير، وكأن الأوطان الإسلامية حرة، والشعوب الإسلامية حرّة، والمرأة المسلمة وحدها هي المستعبدة!

أ.د. حلمي القاعود

أستاذ الأدب والنقد

استطاع اليابانيون منذ قرن أو أكثر، وفي ظل هزائمهم العسكرية المريعة على يد الغرب أن ينهضوا ويؤسّسوا قوة صناعية علمية، مع أن بلادهم لا تمتلك ثروات معدنية أو إمكانات إستراتيجية، أما النخب في بلاد المسلمين فما زالت تلهو بالثرثرة حول المرأة وما يتعلق بها، وشيطنة الأكثرية وتجريمها؛ لأنها تريد الحرية والتعبير عن إسلامها وهويتها، حتى صارت حال البلاد لا تسرّ، مع أن لديهم ثروات ضخمة.

كان العمل هو الشغل الشاغل لليابانيين في إطار المشاورة والمحاورة، أما في بلادنا

اليابان تتقدم دون أن تغيّر معتقداتها أو تُقصي فريقاً من شعبها

العربية الإسلامية فكان الجدل الفارغ أو العبث اللاهي على مدى عقود طويلة، في ظل استبداد خشن تقوده النخب المسماة بالعلمانية، بدعوى السعي إلى التقدم والتطور، ولم يحدث تقدم أو تطور ذو قيمة!

أدى المصطلح دوراً خطيراً؛ حيث وظفه العلمانيون بمهارة لإدانة المسلمين، وتحقيق غاياتهم وأهدافهم في التمكين والتسلط والإقصاء والاستئصال.

العلمانية في أبسط تعريفاتها فصل الدين عن الدولة، وقد نشأت في الغرب نتيجة لتحكم الكنيسة في أقدار الناس حكاماً ومحكومين، واستخدم الكهنة صكوك الحرمان والغفران لإخضاع المجتمعات الأوروبية، والهيمنة عليها، ودارت صراعات دموية عنيفة بين الأوروبيين منذ القرون الوسطى حتى القرن الثامن عشر، انتهت إلى التفاهم البراجماتي، وتقليل دور الكنيسة في الحياة العامة، والتوافق على الأهداف التي تهيئ للتعايش، والتشارك في نهب البلاد المستضعفة وتحويلها إلى أسواق لمنتجاتها بعد احتلالها، وفرض الثقافة الغربية عليها، وتشكيل النخب المتغربة.

نجح الغرب في صناعة النخب العلمانية الموالية في بلاد المسلمين، وصار العلماني المسلم -إن صح التعبير- يقبل التعايش مع أصحاب الأفكار المادية والطائفية كافة، ولا يقبل التعايش مع الإسلام أبداً، وتضم النخب العلمانية في البلاد الإسلامية: الشيوعيين والبعثيين والقوميين والناصريين والماسون والبهائيين والقاديانيين والطائفيين والشواذ، وأشباههم، وتتوحد هذه النخب التي تتقلد معظم الوظائف المهمة والمناصب الحساسة داخل البلاد الإسلامية، على رفض الإسلام منهجاً وفكراً وتصوراً وقيماً، ومع أنها ترفع شعار قبول الآخر، فهي تقبل كل الملل والشرائع والمعتقدات والنظريات، ولا تقبل بالإسلام!

توظف النخب العلمانية بعض المصطلحات الأخرى التي لا تكشف عن حقيقة انتمائها الفكري أو العملي، لتضفي على نفسها صورة براقة مقبولة لدى الجمهور الإسلامي؛ فهي مثلاً تستخدم مصطلحات من قبيل التقدمية، والثورية، والنضالية، والطليعية، والتنويرية، وتطلق على المسلمين في المقابل مصطلحات منفرة وقبيحة من قبيل: الرجعية والظلامية والماضوية والتأسلم والتطرف والتشدد والتخلف والجمود، ثم تصم الإسلام والمسلمين بصفة «الإرهاب»!

مصطلح غامض

«الإسلاميون» مصطلح غامض وفضفاض أطلقه العلمانيون على المسلمين الذين يرون الإسلام عقيدة إيمانية ومنهج حياة، سواء كانوا جماعات دعوية، أم أحزاباً ترى الإسلام طريقاً للتطور والنمو والبناء، أم أفراداً يؤمنون بالتصور الإسلامي من كتّاب ومفكرين وإعلاميين وغيرهم.. ثم إن العلمانيين يلحقون بهذا المصطلح مجموعة أخرى من المصطلحات للتنفير أو التمييع أو التسفيه، مثل: الإسلام السياسي، والتيار الديني، ودعاة الدولة الدينية، وتيار التأسلم، والجماعات المتشددة، فضلاً عن الأوصاف الهجائية التي لا تخفى! ويتجاهلون أن الشعوب الإسلامية لا تقبل بغير الإسلام بديلاً، مهما كان الترغيب والترهيب، وأن قرابة ٩٠% من

النخب العلمانية توظف بعض المصطلحات التي تخفي حقيقة انتمائها الفكري

المسلمين، مع ضعفهم وهوانهم، لا يفرطون في إسلامهم لأنه جلدهم الحساس الحي، حتى لو كان كثير منهم يجهل معطياته وتصوراته.

الإسلاميون -وفقاً للتسمية العلمانية- ضعفاء بشكل عام، متفرقون متشرذمون، فضلاً عن تعرضهم للاضطهاد من جانب المستبدين والطغاة الذين يرون الإسلام خطراً داهماً على وجودهم ومكاسبهم، ولذا لا يملكون طلاقة الحركة في المجتمع والمشاركة في بنائه اجتماعياً أو اقتصادياً أو تجارياً أو علمياً أو ثقافياً أو فنياً، تلاحقهم قيود قانونية واستثنائية، وتحاصرهم دعاية مسمومة تشيطنهم، وتسند إليهم الفشل الذي تعيشه الشعوب، وهم لا يملكون حيلة ولا يهتدون سبيلاً؛ لأنهم محرومون من العمل العام، أو زوّار دائمون إلى الغرف المظلمة، يقبعون فيها كثيراً أو قليلاً حسب الأحوال!

ونضيف إلى ذلك إنشاء بعض الجماعات التي أشرفت عليها الأجهزة الشيطانية العالمية ووكلاؤها المحليون بتقديم أسوأ صورة للإسلام («داعش» نموذجاً!)؛ فهو يصور من خلالها على أنه دين الدم والتوحش وتخريب العمران وتدمير الجامعات وبشاعة الغريزة البدائية في التعبير عن نفسها!

أقلية إقصائية

يمثل العلمانيون أقلية ضئيلة، لكنهم يتحكمون في معظم الأماكن الحساسة في البلاد الإسلامية، وتستعين بهم الحكومات المستبدة في الوزارات والإدارات لقمع الأكثرية الإسلامية الساحقة، وتمنحهم امتيازاً خاصاً في العمل والإدارة ونشر أفكارهم المعادية للإسلام والمحرّضة على المسلمين، خاصة

في المجالات المؤثرة: الإعلام، الصحافة، التعليم، الثقافة، الفنون، السينما، الدراما.. بينما يحرم الإسلاميون حرماناً شبه تام من هذه المجالات، ومن تبدو عليه علامات مبشرة في أي مجال منها يتم استئصاله أو إقصاؤه على الفور؛ فالعلمانيون إقصائيون واستئصاليون ولا يخجلون من التصريح بإقصاء أي إسلامي من الحياة العامة، والشواهد على هذا كثيرة.

وبالطبع في ظل مثل هذا الفكر الاستئصالي الإقصائي الذي يدعي أن العلمانية لا تتدخل في الدين، ولا تمنع أحداً من ممارسة شعائره، يصعب أن يتحدث أحد عن التعايش، لسبب بسيط؛ وهو أن الفكر العلماني الكاذب في بلاد الإسلام لا يتسامح أبداً مع الإسلام ولا يقبل بالآخر الإسلامي، وأيضاً لأنه يستند في وجوده إلى قوة خشنة غاشمة تحرسه وتغذيه وتتيح له فرصة النمو الاستثنائي في بيئة الاستبداد.

هشاشة فكرية

ولو أن هذه القوة لم تكن موجودة، لما استطاع البقاء فضلاً عن النمو، ومن هنا شاعت المقولة الخاصة بالعلمانيين: «إذا كسبنا الانتخابات فنحن مع الديمقراطية، وإذا خسرناها فنحن مع الاستبداد».. إنهم موقنون أن الانتخابات لن تأتي بهم، وقد جربوا الانتخابات الحرة التي جرت قبل سنوات في بعض الدول ولم يحصدوا مقاعد ذات قيمة؛ لأن المجتمع يعلم مدى هشاشتهم الفكرية وقدراتهم الضحلة، ووعودهم الزائفة، وقواعدهم الضعيفة؛ لذا فشلوا فشلاً ذريعاً في تطوير بلادهم إلى الأفضل، ولم يبق من ممارساتهم إلا الدم والدموع، وتأكيد أن الإسلام كان منصة تصويبهم الخطأ، دون أن يصوّبوا نحو الفقر والجوع والتخلف والضعف والجهل والمرض.

لقد حكم الشيوعيون العراق في عهد عبدالكريم قاسم، وشطبوا الإسلام من بغداد، عاصمة دولة الخلافة الإسلامية، وأقاموا مجازر دموية في شوارعها للأبرياء، ولم يصنعوا ديمقراطية، ولم يقيموا بناء حضارياً، وأثبتوا بالدليل الحي أن العلمانية في بلادنا لا تصنع حضارة، ولا تنشئ مدنية.

وفي دمشق عاصمة الخلافة الإسلامية، دمر حزب البعث العلماني عام ١٩٨٢م مدينة

حماة بالقوات البرية وسرايا الدفاع، ودفن قرابة ٤٠ ألفاً من المسلمين الأبرياء أحياء، وفي عام ٢٠١٢م دمر معظم المدن السورية، بالقصف الجوي والمدفعي، وقتل قرابة مليون سوري بريء بالسلاح الكيماوي، والبراميل المتفجرة، وفرّط في استقلال الدولة لحساب القوى الكبرى والصغرى التي جاءت بجيوشها ومليشياتها الجرارة.

وفي الستينيات والسبعينيات، أعلن رئيس تونس ثم تلميذه الذي خلفه من بعده حظراً على الإسلام، بمنع الصوم في رمضان، وفرض السفور، وإباحة الدعارة والخمور، وفرَض دخول المساجد ببطاقة ممغنطة!

وقبل هؤلاء وغيرهم كان مصطفى كمال أتاتورك، قد أعلن العلمانية في دولة الخلافة العثمانية بعد أن ألغى الإسلام، وأغلق المدارس الإسلامية وشطب الشريعة الإسلامية وأصدر قانون القيافة (منع العمامة والطربوش والحجاب)، وحرّم اللغة

الحكومات المستبدة تستعين بالعلمانيين في الإدارات لقمع الأكثرية الإسلامية

الأمل في التعايش إذا سقطت العصا الغليظة التي تحمي طرفاً وتهوي على رأس الآخر

العربية وجعل الأذان بالتركية، وقبل ذلك وبعده علق علماء الإسلام على المشانق حتى بدت جثثهم كالأراجيح، على حد قول مؤلف كتاب «الرجل الصنم»! ولم يتردد خلفاء أتاتورك في إعدام الزعماء المسلمين، والانقلاب على الحكومات التي تحظى بثقة الشعب التركي المسلم، ولولا ربط الاتحاد الأوروبي عضوية تركيا بالانتخابات النزيهة الشفافة، لما استطاع أي حزب إسلامي أن يصل إلى المجلس التشريعي أو الرئاسة!

توافق مستحيل

فالبلاد العربية لا يساعدها الاتحاد الأوروبي على الانتخابات النزيهة، ويرى أن من مصلحته الاقتصادية وغيرها أن تبقى النخب العلمانية متحكمة ومستبدة، ومع ذلك جرت محاولات عديدة للتوافق من أجل التعايش بين العلمانيين والمسلمين، وأبرزها فكرة المؤتمر القومي الإسلامي الذي انعقد في بيروت أكثر من مرة، بمبادرة من بعض الشخصيات الإسلامية والعلمانية، لكن جلسات المؤتمر لم تسفر عن نتيجة ذات أثر، ربما كان الأثر الوحيد إنشاء علاقات شخصية بين بعض الأعضاء، ولكن الإقصاء أو الاستئصال للإسلاميين ما زال مستمراً.

في «واشنطن بوست»، بتاريخ ١٤ يناير ٢٠٢٠م، كتب عز الدين فشير (علماني) مقالاً بعنوان «العلمانيون والإسلاميون يحتاجون للتوافق لإنهاء حربهم الأهلية»، أشار فيه إلى أن الصراع بين الطرفين لم يسفر إلا عن ترسيخ الحكم السلطوي، ويرى أن الخلافات بينهما حقيقية وعميقة، وذكر أن تحالفهما مستحيل، وأن إطار التعايش السلمي يسمح لهما بالخروج من الدائرة الصفرية، وهذه خطوة أولى ضرورية لإرساء قواعد الحكم الديمقراطي في الشرق الأوسط، كما يقول، وقد تذكرت معنى مقولة في فيلم «طيور الظلام» الذي كتبه علماني يهجو المسلمين ويجمّل صورة الشيوعيين، يقول العلماني للمسلم: «اثنان من الذئاب لا يجتمعان في جحر واحد!».

من المؤكد أن هذه المقولة خاطئة، فإذا كان الشيوعي ذئباً، فإن المسلم في القرن العشرين وما بعده أضعف من أرنب! ولكن الأمل في التعايش، وعودة كل طرف إلى حجمه الطبيعي، يكمن في سقوط العصا الغليظة التي تحمي طرفاً، وتهوي على رأس الآخر، ولله عاقبة الأمور.■

فـخ التغريـب..
الوجه القبيح للعلمانية

ارتبطت الحداثة الغربية بالعلمانية كفلسفة تُقاطع الوحي الإلهي أو تحصره في نطاق بالغ الضيق لا يتجاوز العلاقة الشخصية جداً بين الإنسان والله تعالى، التي لا ترتبط بأي مظهر عملي أو تطبيقي حياتي، حيث العقل وحده وروافده من الخبرات والتجارب الإنسانية من ينبغي له أن يحكم هذا العالم ويقرر تشريعاته ويحدد أفكاره، بل ويضع معيار الخير والشر.

فاطمة عبدالرؤوف
كاتبة متخصصة في قضايا الأسرة

في مرحلة ما بعد الحداثة، حيث سقط تأليه الإنسان لنفسه وكمركزية لهذا الكون، أضحت العلمانية في مأزق، فمع فلسفة التفكيك وأجواء العبثية والعدمية وروح اللاجدوى والصيرورة القاتلة عاد سؤال الدين ليطرح ذاته، مستحضراً ما قاله الفيلسوف «مارتن هايدغر»: «الله وحده ما زال بإمكانه إنقاذنا.. فنحن عندما ننحدر فإننا ننحدر بسبب غياب الإله»، فحدث تراجع ملموس للزمن العلماني، وربما بدايات لما يمكن أن نطلق عليه مرحلة ما بعد العلمانية.

أما في مجتمعاتنا العربية المسلمة، فلقد كانت هناك سردية أخرى تماماً، صحيح أنها في جانبها العلماني كانت تسير وراء العلمانية الغربية بعدة خطوات، وتقتات على معارفها وأفكارها وأطروحتها وقضاياها وإشكالاتها، وتُسقط ذلك بصورة غير منصفة على واقعنا وتحدياته، إلا أن مجتمعاتنا المسلمة بقاعدتها الشعبية ونخبتها الفكرية دخلت في صراع حاد وملتهب مع الآخر العلماني بتجلياته المختلفة، وعلى الرغم من أنه وفي نقاط تاريخية ساخنة كان المد العلماني يرتفع خاصة في أوساط ثقافية محددة، فإنه أبداً لم يستطع أن يكون له الغلبة، وعلى الرغم من ذلك استطاع النجاح جزئياً في صنع حالة من الضبابية؛ إثر قنابله الدخانية التي أثارها فانجرفت قطاعات من المجتمع للوقوع في مأزق التغريب نتيجة تشوش الرؤية لديها.

الجانب الآخر المظلم لسردية العلمانية في بلادنا، أنها لا تمتلك شجاعة المراجعة والنقد الذاتي التي بدأت بوادرها في الغرب، فالعلمانيون في بلادنا في حالة عمى، لا يرون النتائج الكارثية التي حلت بمجتمعاتنا جراء

علمانيو بلادنا لا يمتلكون شجاعة المراجعة ولا يرون كوارث أطروحاتهم الفكرية

أطروحاتهم الفكرية، بل لعلهم يبررون هذه النتائج بحالة المقاومة التي لاقاها مشروعهم فلم يستطع فرض رؤيته بصورة شاملة.

ثمرة العلمانية

إذا كانت العلمانية هي الفكر، فإن التغريب هو التطبيق، معادلة في غاية البساطة، فالعلمانية منتوج غربي، حيث الغرب هو الذي تمرد على الدين وعلى سلطة رجال الكهنوت ورفع السحر الملقى على العالم، كما يقال، وهو من وضع الأسس الفكرية لعالم ما بعد المقدس، وتعزز ذلك بتلك الاختراعات العلمية والاكتشافات الحديثة التي قادها التي كانت المبرر الأكبر للقبول بالعلمانية والدفاع عنها في بلادنا، ومن ثم محاولة هؤلاء العلمانيين تقليد نمط الحياة الغربي، ودعوة مجتمعاتنا للتغريب مادياً ومعنوياً حتى نلحق بركب الحضارة.

ففي عبارات صريحة، يقرر د. طه حسين، في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر»، أن الطبقات الراقية الثرية لا بد أن تكون طبقات

متغربة تعيش نفس النمط الاستهلاكي المرتفع؛ «حياتنا المادية أوروبية خالصة في الطبقات الراقية، وهي في الطبقات الأخرى تختلف قرباً وبعداً من الحياة الأوروبية باختلاف قدرة الأفراد والجماعات وحظوتهم من الثروة وسعة ذات اليد، ومعنى هذا أن المثل الأعلى في حياته المادية، إنما هو المثل الأعلى للأوروبي في حياته المادية».

والتقليد لا يكون في الأمور المادية الاستهلاكية فحسب، وإنما في الأمور المعنوية أيضاً، وإذا عاب د. حسين شيئاً في هذا الأمر فهو التأخر في النقل والتقليد؛ «وحياتنا المعنوية، على اختلاف مظاهرها وألوانها، أوروبية خالصة، نظام الحكم عندنا أوروبي خالص، نقلناه عن الأوروبيين، في غير تحرج ولا تردد، وإذا عبنا أنفسنا بشيء من هذه الناحية، فإنما نعيبها بالإبطاء في نقل ما عند الأوروبيين من نظام الحكم وأشكال الحياة السياسية».

أما أخطر ما في الأمر فهو صناعة عقول أبنائنا بطريقة غربية خالصة؛ لأن التغريب هنا يكون نابعاً من الجذور؛ «والتعليم عندنا قد أقمنا صروحه وبرامجه منذ القرن الماضي على النحو الأوروبي الخالص، ما في ذلك شك ولا نزاع، نحن نكوّن أبناءنا في مدارسنا الأولية والثانوية والعالية تكويناً أوروبياً لا تشوبه شائبة».

وإذا أردنا الوصول لمرحلة التغريب الشامل فعلينا أن نقوم بعملية تقليد شاملة دون أي منظور نقدي للمنطلقات ولا النتائج مهما كانت قسوتها ومرارتها؛ «علينا أن نسير سيرة الأوروبيين، ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب».

أما الدافع العميق للسعي العلماني نحو التغريب فهو الشعور بدونية الذات الحضارية، حتى إن الهدف الأعلى للاغتراب لم يكن تقدم بلادنا عن طريق النقل والتقليد، ولكن أن نقنع الآخر الغربي أننا نشبهه حتى يعترف أننا لسنا أقل منه! وهو هدف غاية في البؤس أظنه بحاجة للعلاج النفسي أكثر من التنظير الفكري، يعبر عن هذه الحالة المرضية د. حسين بقوله: «وأن نشعر الأوروبي أننا نرى الأشياء كما يراها، ونقوّم الأشياء كما يقومها، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها».

التغريب الجزئي

وإذا كان هناك ثمة علمانية جزئية وعلمانية شاملة (بحسب تقسيم د. عبدالوهاب المسيري، في كتابه الذي يحمل العنوان نفسه)، فيمكننا أيضاً القول: إن ثمة تغريباً شاملاً وتغريباً جزئياً؛ وأعني بالتغريب الشامل تبني فرد أو فئة أو قطاع من المجتمع نمط الحياة الغربية بأدق تفاصيله عن قناعة كاملة بأنه نمط الحياة الأرقى الذي ينبغي لنا إعادة استنبات بذوره في تربتنا، كما دعا لذلك د. حسين بشكل صريح، وتبعه عدد لا بأس به من العلمانيين العرب.

ونجد تطبيقاً فجاً لهذا التغريب في قطاعات كبيرة ممن يُطلق عليهم «أهل الفن» (ولهم تأثير مدمر على فئة الشباب)، تجد مجاهرة الكثيرين منهم بتبني نمط المساكنة كبديل للزواج، والإعلان الصريح عن أبناء غير شرعيين وأبناء متحولين جنسياً! وهم لا يرون حرجاً في ذلك، بل يدعمون مثل هذه الممارسات ويسخرون من مجتمعنا المنافق الذي يدفن رأسه في الرمال حتى لا يرى واقع التغيرات فيه.

الدافع العميق للسعي العلماني نحو التغريب الشعور بدونية الذات الحضارية

التيار النسوي أكبر تجلٍّ تطبيقي للتغريب وهو يمثل الابن الشرعي للعلمانية

لكنَّ هناك تغريباً جزئياً يحدث دون تبني منطلقات العلمانية الفكرية، ولكنْ لنقص الثقافة الإسلامية أو كنتيجة للظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويتراوح هذا التغريب الجزئي ما بين تبني نمط الحياة الغربي في أمور لا علاقة لها بالدين بشكل مباشر؛ كارتياد مطاعم الوجبات السريعة مثلاً.

وهناك التغريب الذي يطول الدين بشكل غير مباشر؛ كتغريب اللغة، فلقد انتشر نمط من الكلام يمزج ما بين العربية والإنجليزية، وأصبح ذلك دلالة على الرقي.

بعض التغريب الجزئي ذنوب لا شك فيها؛ كانتشار التبرج ببين الفتيات، وتقليدهن للأزياء الغربية دون أن يعني ذلك إنكارهن لفرضية الحجاب أو اعتناقهن للأطروحة العلمانية، وقد يصل الأمر بالبعض لارتكاب الكبائر من الذنوب كالوقوع في الفاحشة نتيجة لضعف الوازع الديني وسوء الأحوال الاقتصادية والاضطراب الاجتماعي والنفسي، وقد يصل الأمر للسخرية من منظومة الزواج أو حتى الإشادة بمساحة الحرية الجنسية في الغرب دون أن يعني ذلك تبنيهم واعتناقهم لرؤية فكرية مرتبطة بالعلمانية بما تحمله من إقصاء للوحي الإلهي.

يتبقى التيار النسوي كأكبر تجلٍّ تطبيقي للتغريب، وهو في كثير من مدارسه واتجاهاته يمثل الابن الشرعي للعلمانية، فإذا استثنينا التيار النسوي الإسلامي الذي يعمل جاهداً للتأويل المتعسف ولي أعناق النصوص للوصول للأهداف النسوية المقررة سلفاً، لكنه من حيث المبدأ يضع الوحي الإلهي كمرجعية لمنظومته، أما باقي اتجاهات التيار النسوي فهي تنطلق من مرجعية علمانية تخاصم الدين وتقصيه حتى تستطيع فرض تحيزاتها المعرفية المستوحاة من النموذج الغربي للمساواة المطلقة بين الجنسين في شتى المجالات الحياتية.■

هكذا تأثرت المرأة المسلمة بالمد العلماني

إحسان الفقيه
كاتبة صحفية

أردنا من هذه المقدمة في تحديد مفهوم العلمانية تقرير شمولها لمناحي الحياة لا السياسة وحدها، تأسيساً لتتبع أثرها في فضائنا الإسلامي، وعلى وجه التعيين تأثيره على ملف المرأة المسلمة، الذي يوليه العلمانيون اهتماماً بالغاً، نظراً لأهمية دور المرأة ومحوريته في المجتمع الإسلامي.

لقد تعرضت المرأة إلى الغزو العلماني -المُحمَّل على رؤوس تنويرية وتوفيقية- من طريقين:

الأول: مسار عام، اشتركت فيه المرأة في التعرض لعملية العلمنة مع المجتمع ككل، كما هي الحال في تعزيز الأفكار التي تقوض الدين وتهمشه، مثل الادعاء بعدم صلاحية الدين لكل زمان ومكان، وإنكار حجية السُّنة، وتقديم إعمال العقل على الإيمان بالنص، والتفسير التاريخي للنصوص، والزعم بأن الدين والعلم لا يلتقيان، وأن التقدم لن يكون إلا بحصر الدين في العلاقة الروحية بين العبد وربه، وترك أمور الدنيا للعقل البشري على غرار ما فعل الغرب، ونحو ذلك مما يؤدي إلى حصر الدين في أضيق نطاق، وإقصائه عن شؤون الحياة.

الثاني: مسار خاص، ونعني به تعرض المرأة لهذا السيل الجارف من مكونات الفكر النسوي، الذي يرفع شعارات تحرير المرأة ونيلها حريتها، هذا الفكر الذي عزز عند المرأة المسلمة أنها ظُلمت في رحاب الإسلام، وضرورة مطالبتها وسعيها للمساواة المطلقة بينها وبين الرجل، ونسف مفهوم قوامة الرجال على النساء، وتمتعها بكل ما للرجل مهما بلغت الفروق النفسية والفسيولوجية والتكوينية بين الجنسين.

تأثر المرأة بالمد العلماني

لا يستطيع أحد الإنكار بأن المجتمعات الإسلامية تأثرت كثيراً بالأفكار العلمانية التي يعمل على فرضها ليل نهار الغرب وأذنابه في بلادنا، فمن الطبيعي أن تنال المرأة حظها ونصيبها من هذا التأثّر، ونستطيع أن نرصد ذلك من خلال الواقع بسهولة، ونجمل أهم هذه المظاهر في النقاط التالية:

١- تقليص مفهوم التدين:

بتأثير المد العلماني والتغريبي، صار لكثير من النساء مفهوم مختزل للتدين يعكس حالة من الفصام النكد، فتكتفي إحداهن بكونها تصلي وتصوم لتعرّف نفسها كشخصية متدينة، رغم التخبط الواضح في سلوكياتها، فهي متبرجة وسافرة وتظهر مفاتنها، وتختلط بالرجال إلى الحد الممنوع، ونحو ذلك من المخالفات، لكنها متدينة، فقط لأنها تصلي!

«خدعوك فقالوا: إن العلمانية هي فصل الدين عن السياسة»، بهذا أماط الكاتب فهمي هويدي اللثام عن أكذوبة التعريف القاصر المختزل الذي يتداوله علمانيو الغرب والعرب معاً للعلمانية التي تُراد كصبغة لعالمنا الإسلامي، للتعمية على خطورتها، وطمس مدلولات تعريفها الصحيح الذي يتضمن فصل الدين عن كل شؤون الحياة، بكل مظاهرها، وترك تصاريفها للبشر وما يرتضون.

حصر مفهوم العلمانية في فصل الدين عن السياسة يبرزها وكأنها نظام سياسي، ويتجاهل فلسفتها وأساسها المعرفي، ولذلك يقول د. عبدالوهاب المسيري: «حصر البعض نطاق العلمانية في هذه الدائرة الضيقة، دائرة فصل الدين عن الدولة فحسب، واستبعدوا الدائرة المعرفية المرجعية الأشمل، وتعريف العلمانية على هذا النحو يتجاهل قضية المرجعية والنموذج الكامن وراء هذا المصطلح».

وغدت عبارات مثل «ربنا رب قلوب»، «الحجاب حجاب الروح».. ونحوهما، عبارات تجد لنفسها مساحة وافرة لدى قطاعات النساء.

وبناء على ذلك، ظهر وراجَ بقوة مصطلح الصداقة بين المرأة والرجل، وصار يُسعى إلى تطوير هذا المصطلح ليظهر للعيان أنه يماثل الصداقة بين عناصر الجنس الواحد، ففي ظل هذه الصداقة تلتقي المرأة بالرجل الأجنبي، وتفضي إليه بأسرارها ومشكلاتها حتى مع زوجها، طالما أنها تكنّ له مشاعر الصداقة البريئة، فهي متدينة بصلاتها أو بقطعة قماش صغيرة على رأسها، أو بمجرد الاقتصار على ادعائها بأنها ذات خلق!

٢- التمرد على المرأة:

ونعني به تمرد المرأة المسلمة على طبيعتها الأنثوية وسعيها وراء إثبات الذات عبر ميادين لم تخلق لها، وتنافي طبيعتها كأنثى، فأصبح الشغل الشاغل لكثير من النساء إثبات ذواتهن عن طريق مزاحمة الرجال في العمل، وشَغْل أعلى المناصب السياسية والنيابية والسيادية مما يتطلب تفرغاً وطاقة كبيرة تتوافر في الرجال أكثر من توافرها في النساء.

إضافة إلى ذلك، تقف المرأة موقفاً مضاداً للرجل، بفعل تحول قضايا حقوق المرأة من المطالبة بحقوق جارت عليها الأعراف البعيدة عن تعاليم الشريعة، إلى قضية تمحور حول الذات الأنثوية، جعلها تستبدل الـ«نحن» التي تعبر عن الذكر والأنثى كمكونات للوحدة الاجتماعية، إلى «هو»، و«هي»، كتعبير عن التضاد بين الجنسين.

ومردّ ذلك إلى تأثرها بموجات الفكر النسوي وحقوق المرأة الذي يعد أبرز المطايا التي يعتليها العلمانيون للوصول إلى المرأة المسلمة وتغيير هويتها وثقافتها.

٣- الصدام مع التشريع:

فبفعل الغزو العلماني، عارضت كثير من النساء بعض التشريعات الإسلامية وقطعيات الشريعة، فبعضهن ينكرن فرضية الحجاب الذي دلت عليه النصوص قطعية الثبوت والدلالة، وأجمعت عليه الأمة، تأثراً بالأبواق العلمانية التي تتستر بمسميات التنوير والتحديث، التي يسكب أربابها مثل هذه الأفكار على آذان الجماهير بشكل عام والنساء بصفة خاصة.

وبما أن الزواج عقد مدني لا علاقة له بالدين في الأفكار العلمانية، انعكس ذلك على بعض النساء في المجتمعات الإسلامية، على هيئة استباحة عقود الزواج المكتوبة بين الرجل والمرأة بلا ولي وبلا شهود، وهو مما كثر وانتشر في جامعات، بل ومدارس بعض البلدان الإسلامية ذات التعليم المختلط.

كما دخلت بعض النساء في صدام مع تشريعات الميراث، وطالبن بالتسوية رغم دقة وروعة نظام الميراث في الإسلام، ومع حقوق الزوج التي شرعها الإسلام وقوامته على أهل بيته، ومع تعدد الزوجات، تأثراً بالغزو العلماني التغريبي الذي يرفع شعارات حقوق المرأة.

٤- التقليد الأعمى:

ولأن العلمانية تنزع الهيمنة للدين على شؤون الدنيا، فقد أثر الفكر العلماني على كثير من نساء المسلمين في الانفتاح غير الموزون على الثقافات الغربية، والاستغراق في التقليد الأعمى للمرأة في أوروبا، دون مراعاة قواعد الحلال والحرام في هذا التقليد، سواء كان في موضات الملبس وقصات الشعر أو في علاقة المرأة بالرجال، أو في التمرد على الأعراف والتقاليد المجتمعية.

الصورة ليست سوداء

ولا يعني هذا أن العلمانية نالت من مجموع نساء الأمة، فلله الحمد والمنة، هناك كثير من النساء يحافظن على تعاليم الدين، وينبذن كل محاولة للفصل بين الدين والحياة، ويظهر ذلك جلياً على مواقع التواصل الاجتماعي، فعلى الرغم من الفساد الفكري والأخلاقي الذي انتشر في هذه المواقع انتشار النار في الهشيم، فإن كثيراً من النساء يحملن هَمَّ الدعوة إلى الدين بشموليته، كما أن هناك الكثير من النساء العاملات في حقل الدعوة يركزن على انتشال المرأة المسلمة من براثن العلمانية.

لا بديل عن تكثيف جهود العلماء والدعاة والنخب الثقافية المحافظة عن أي وقت مضى، للاهتمام بتثقيف المرأة وتأهيلها عبر المحاضن العلمية والتربوية بما يتناسب وهويتنا الإسلامية، وتنوع الخطاب الدعوي وقنوات التأثير، بما يكفل تحصينها ضد الفكر العلماني.■

وسائل العلمانية لهدم مؤسسة الأسرة

لا شك أن العلمانية هي النظام الذي انفرد بالعالم وهيمن عليه منذ أن انطفأ وهج الحضارة الإسلامية؛ حضارة العدل الإلهي والحرية المنضبطة بشريعة السماء.

وربما يُلتمس بعض العذر للنخب الأوروبية الأولى التي لجأت للعلمانية ليأسها من سلطة كنسية جاهلة مستبدة، ونظم وراثية إقطاعية فاسدة متحالفة معها، ولكن هذا ليس مبرراً لاختيار الانتحار لمجتمعهم.

نـــدى جمـــال

في الحقيقة، لم تبرر النخب الفكرية الأوروبية الرذيلة فقط، بل زيَّنتها وجمَّلتها لمجتمعاتها، وكان الأولى بها أن تبحث عن الحق عندما ثبت لها بالأدلة فساد الكثير من معتقداتهم الدينية، لكنها اختارت الحل الأسهل؛ وهو اختيار نقيض الدين، وتحقق فيهم قول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ٢٣)، وكأن الآية الكريمة نزلت فيهم خاصة؛ فقد اتخذ الغرب إلهه هواه، فضلَّ ضلالاً مبيناً.

كان للعلمنة تأثير كبير على الأدوار التي يقوم بها الزواج التقليدي؛ الذي أصبح مرفوضاً في نظر العلمانية، ويُنظر إليه الآن على أنه عقد حب وصداقة وثقة بين اثنين، غالباً ما يؤدي إلى الانفصال إذا فشل الطرفان في الاستمرار طوال فترة الزواج.

وفي الواقع، تستغل العلمانية منع الطلاق عند الطوائف المسيحية المختلفة لتدمير مؤسسة الأسرة تدميراً كاملاً، وخلعها بالكامل من جذورها، ويلاحظ أن تعريفات الزواج الحديث لا تتحدث عن زواج رجل وامرأة، لكنها تسميه «عقد حب وصداقة وثقة بين اثنين»؛ ولذلك أصبحنا نسمع عن عقود زواج معترف بها حتى من بعض الكنائس لرجل برجل، وامرأة بامرأة!

العلمانية تستغل منع الطلاق عند الطوائف المسيحية لتدمير الأسرة كاملاً

.. وتعمل على تدمير ما تبقى من دين وتماسك أسري خاصة ببلاد المسلمين

وسائل هدم الأسرة

العلمانية ليست مجرد دعوة أو حتى دين وضعي، لكنها نظام يحكم العالم ويتحكم في كل صغيرة وكبيرة، وقد أصدرت قراراتها بالفعل باستئصال الأديان، أو حصرها في أديرتها ودور عباداتها، وبتدمير مؤسسات تلك الأديان وعلى رأسها الأسرة، وهذه بعض وسائل الهدم والتدمير التي تستخدمها العلمانية لتدمير الأسرة:

١- المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة:

نجحت العلمانية في إقناع بعض المجتمعات بوجوب المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة في كل شيء؛ في السياسة، والعمل، والحياة الاجتماعية، وكل الحقوق.

وفي الحقيقة، هذا مصادم لكل من الفطرة والواقع؛ ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ (آل عمران: ٣٦)، وقدرات الرجل تختلف اختلافاً كاملاً عن قدرات المرأة، فماذا جرى للمرأة بعد أن ابتلعت طعم المساواة الكاملة؟ انخفض

معدل الزواج بأمريكا انخفض بنحو ٦٠% على مدى العقود الخمسة الماضية

الحركات النسوية تسعى إلى ترسيخ مبدأ فصل الجنس عن مؤسسة الزواج

معدل الزواج في الولايات المتحدة بنحو ٦٠% على مدى السنوات الخمسين الماضية؛ لأن كلاً من الرجل والمرأة أصبحا لا يريان لزوماً للزواج؛ حيث إن فوائده تتضاءل، كما يقول عالم الاجتماع في جامعة جونز هوبكنز الأمريكية «أندرو شيرلين».

٢- عمل المرأة أهم من بيتها:

أقنعت العلمانية الغربية المرأة بأنها لا بد أن تعمل، وتعتبر دورها في الأسرة دوراً ثانوياً، بل غير مهم، فالأولوية لعملها خارج المنزل.

وأصبحنا نجد المرأة المتزوجة والعازبة تتجشم المصاعب والمتاعب وتتحملها برضا؛ فتواجه برودة الطقس وازدحام المواصلات؛ لتعمل في وظيفة لثماني ساعات في اليوم، فتتحمل العمل بمزاياه وعيوبه، لتعود في آخر اليوم متعبة لتجد أطفالها بحاجة إلى رعاية؛ ما يعني أن مسؤولياتها تضاعفت؛ فتصبح متوترة لأنها تحس بتقصيرها في منزلها، أما العمل خارج المنزل فهي مضطرة لتأديته بكفاءة لأن النتيجة العقاب لو قصرت، أما بالنسبة للمرأة العازبة، فهي أيضاً مضطرة للعمل حتى تواجه تكاليف معيشتها من سكن، ومواصلات، ومأكل، وملبس.

٣- الجنس الرخيص:

في كتاب حديث بعنوان «الجنس الرخيص»، يثبت «مارك ريجنيروس»، عالم الاجتماع الأمريكي، أن الزواج في أمريكا يتراجع بشكل مخيف، ويذكر إحصائية مذهلة أجريت فيها تقول: في عام ٢٠٠٠م كان ٥٥% من الرجال البالغين متزوجين و٣٤% غير متزوجين، بينما في عام ٢٠١٥م كان ٤٢% متزوجين و٥٢% غير متزوجين؛ أي أن الزواج تحول في غضون ١٥ عاماً من كونه ظاهرة أغلبية إلى أقلية.

وهذا ينطبق أيضاً على المملكة المتحدة وأوروبا الغربية، ولا يوجد سبب، كما يقول «ريجنيروس»، للاعتقاد بأن الاتجاه سيتغير إذا لم يتم إضفاء الطابع المؤسسي على الزواج في الغرب؛ فما جمعه الله تعالى هدمه العلمانيون.

والجنس الرخيص يجذب كلاً من الرجل والمرأة، خصوصاً بعد أن انقطعت صلاتهم بالله عز وجل، وبالحلال والحرام، فما الذي يُكره الرجل على تحمل مسؤولية أسرة وهو يستطيع أن يفرغ طاقته بشكل أرخص؟ ولماذا تتعب المرأة في البيت وخارجه إن كانت تستطيع إشباع حاجاتها بطرق غير مكلفة؟!

٤- تخلي الدولة عن دورها في الحفاظ على الأسرة:

تحاول العلمانية إقناع النظم السياسية أن ما يحدث في غرفة النوم مسألة خاصة جداً ولا ينبغي التدخل فيها بحال، وهذا غير صحيح ولا يصمد للمناقشة العقلانية العلمية.

في عام ١٩٧٠م، كتبت «كيت ميليت» كتاباً رائداً بعنوان «السياسة الجنسية»، قالت فيه: إن «الزواج والأسرة أساس للصحة الشخصية والمدنية، وهذا أساس من أسس السياسة»، لكن الحركات النسوية تحارب ذلك عن طريق وضع «فصل الجنس عن مؤسسة الزواج» كهدف أساسي لها، وبالفعل أدت تلك السياسات في الغرب إلى زيادة معدلات الطلاق، وانخفاض معدلات الزواج (التقليدي)، وزيادة معدلات المعاشرة خارج إطار الزواج، والزواج من نفس الجنس.

٥- إعادة تعريف الزواج:

مكتوب على موقع الأمم المتحدة: «وفقاً لتغيير كبير في سياسة الأمم المتحدة، ساري المفعول منذ ٢٦ يونيو ٢٠١٤م، قررت الأمم المتحدة الاعتراف بزواج أي زوجين من نفس الجنس يتزوجان في بلد يكون فيه الزواج من نفس الجنس قانونياً»، وهذا تصريح خطير وتدخل صارخ لصالح العلاقات الشاذة، ومعول هدم يضاف لمعاول الهدم الأخرى التي تستهدف الأسرة.

٦- تقليل قيمة الأطفال:

في الولايات المتحدة، وأغلب دول الغرب، فرضت قبول الإجهاض دون قيود كحق من حقوق الإنسان، وفرضت الزواج من نفس الجنس، بل فرضت عقوبات على من يعترض على هذا العبث، ولا يخفى على لبيب ماذا يعني هذا.

وقد وجدت دراسة أجرتها جمعية خدمات رعاية الأطفال (CCSA)، في عام ٢٠٢١م، أن ١.٣ مليون رضيع وطفل صغير ومرحلة ما قبل المدرسة يعانون من التشرد كل عام؛ بسبب تفكك الأسر، وماذا تفعل الدولة للأطفال، حتى لو كانت بقوة وغنى الولايات المتحدة، إذا ما تخلى عنهم ذووهم؟

خلاصة القول: إن العلمانية المفروضة على العالم اليوم بالقوة، نظام مدمر للأسرة وللمجتمع؛ دمر الدين والأسرة في بلاد الغرب، وها هو يعمل على تدمير ما تبقى من دين ومن تماسك أسري في أنحاء العالم، وخصوصاً في بلاد المسلمين التي ما زالت تستعصي عليهم وتتحدى مخططاتهم.■

مناهج دراسية عربية تحت وطأة الغزو العلماني

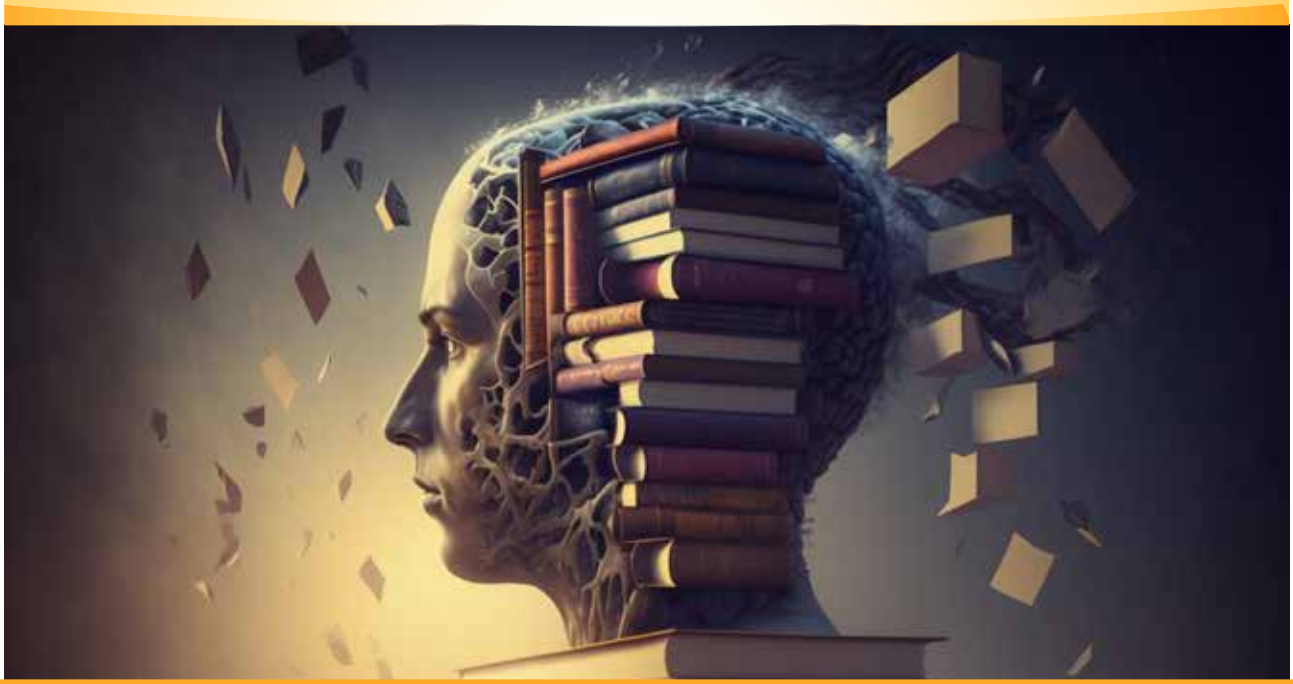

منذ قرون، أدرك الاحتلال الغربي لدولنا العربية والإسلامية أهمية الغزو تحت ستار التعليم؛ الأمر الذي فرض علينا مسمى «استعمار»، وهو في الحقيقة «استخراب» وتدمير لمقدرات الشعوب، ونهب لثروات البلاد.

«المجتمع» تفتح الباب أمام إماطة اللثام عن التطبيع العلماني في مناهج التعليم العربية، وكيفية مواجهة هذا الغزو.

تحقيق – جمال سعد:

في البداية، قال د. **سعيد إسماعيل**، الأستاذ في كلية التربية بجامعة عين شمس: إن الغرب يحسن قراءة التاريخ والاستفادة منه لمنع تكرار أخطاء الماضي، وفي الوقت نفسه منع أي نهوض حضاري عربي يسيطر على العالم، وهو يذكر جيداً تاريخ الفتح الإسلامي لغالبية جنوب أوروبا، وآثار الأندلس الباقية، والفتوحات العثمانية لوسط أوروبا والوصول لأبواب فيينا، عكس دولنا التي تكررت أخطاؤها فوقعت فريسة لأعدائها، بل وخربت بلادها بأيدي أبنائها دون أن تكلف أعداء الأمة طلقة واحدة.

وأضاف لـ«المجتمع» أن ما يجري في مجال التعليم خير شاهد؛ حيث يتم إسناد كثير من مؤسساته التي تقود التعليم الأساسي والجامعي إلى علمانيين تعلموا في الغرب وآمنوا بأفكاره، وافتعلوا خصومة بين الإسلام والتقدم العلمي.

من جانبه، أكد د. **محمد داود**، أستاذ علم اللغة بجامعة قناة السويس، أن الاحتلال الغربي، خاصة الفرنسي، أدرك أن الاحتلال الثقافي أهم من العسكري؛ لأن المحتل العسكري مكروه، أما الغزو الفكري بالأساليب التغريبية العلمانية فيتم تزيينها لتكون مقبولة، بل عليها إقبال كبير، وخاصة إذا تأملنا الحديث الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكُمْ شِبْراً بشِبْر، وَذِرَاعاً بذِرَاع، حتَّى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، اليَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قالَ: فَمَنْ؟»، ويزداد الأمر وضوحاً إذا طبقنا مقولة ابن خلدون في مقدمته الشهيرة: «المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونِحلته وسائر أحواله وعوائده».

وأشار داود إلى أن غالبية صناع الفكر والقرارات لدينا يتكلمون بألسنتنا، ولكنهم يحملون عقلاً وفكراً تغريبياً علمانياً مخترقاً؛ مما يحقق أهداف المحتل الأجنبي بمسخ هويتنا العربية؛ لأن المحتل أدرك أن التعليم

د. داود: التعليم خط الهجوم الأول لضرب مجتمعاتنا من الداخل

خط الهجوم الأول لضرب مجتمعاتنا منذ التحول الذي حدث على يد محمد علي، الذي أسس «الابتعاث» بإرسال طلاب انبهروا بالتعليم الأوروبي ليبدأ التدخل العلماني في التعليم في مصر وبعدها الوطن العربي على حساب التعليم الديني، ليبدأ عصر ازدواج، ثم تعدد انتماءات التعليم، وتراجع الديني، وتزايد التعليم الأجنبي الذي اتخذ أشكالاً متعددة؛ ابتداء من المدارس والجامعات الدولية، مروراً بمدارس اللغات والتجريبية والمستقبل وغيرها.

أما التعليم الحكومي فأصبح في خبر كان، وتم إنشاء معاهد دينية باللغات، وتدريس اللغات في المعاهد الدينية الحكومية في سن مبكرة لتواكب التغيير الذي حدث في التعليم المدني، وإفساح مساحات كبيرة للغات في سن مبكرة جداً قبل المدرسة.

تغييب الهوية

ونبه د. داود إلى أن الدول التي تحترم لغتها وتغار على هويتها –مثل اليابان وفرنسا وألمانيا– لا تعلِّم اللغات الأجنبية إلا بعد سن ١٢ عاماً بعد أن يجيد الطالب لغته، أما في التعليم في عالمنا العربي فحدِّث ولا حرج عن التطبيع العلماني التغريبي الذي نتفاخر به ونقتل بأيدينا لغة وهوية ومستقبل أولادنا، وهذا ما لخصه الخديوي إسماعيل بمقولته: «أريد أن تكون مصر قطعة من أوروبا في كل شيء»، ولخصه الحاكم الإنجليزي لمصر اللورد «كرومر» بمقولته: «إن الشبان الذين يتلقون علومهم في أوروبا يفقدون صلتهم الثقافية والروحية بوطنهم، ولا يستطيعون الانتماء في الوقت نفسه إلى البلد الذي منحهم ثقافته فيتأرجحون في الوسط ممزقين».

وتابع: ولنا أن نتخيل التعليم المصري بعد أن قام «كرومر» بتعيين القس المنصِّر «دنلوب» مستشاراً لوزارة المعارف آنذاك، وطبق المثل الإنجليزي «بطيء لكنه أكيد المفعول»، فأعطى كل الميزات لخريجي التعليم المدني التغريبي، وجاء بمدرسين إنجليز يدرِّسون كل المواد بالإنجليزية ويشككون الطلاب في دينهم وحضارتهم، وهمَّش واحتقر التعليم الديني، وتزامن ذلك مع سخرية الفن من

د. إسماعيل: إسناد مؤسسات تعليمية إلى علمانيين آمنوا بأفكار الغرب

د. خليفة: كارثة التطبيع العلماني في التعليم تمتد إلى رياض الأطفال

عالم الدين ومُعلم اللغة العربية وإفساح المجَال للمتغربين الذين يدعون للعامية.

بدوره، أشار **د. جمال فؤاد خليفة**، الأستاذ بجامعة الأزهر، مؤلف كتاب «العلمانية وخطرها على المجتمعات الإسلامية»، إلى أن عدد الجامعات العربية يقارب ٢٠٠ جامعة، منها عدد لا يُستهان به من الجامعات ذات التوجه الغربي العلماني من حيث أعضاء هيئة التدريس، وبالتبعية المناهج الدراسية، ولست مبالغاً إذا قلت: إن نصف أعضاء هيئة التدريس على الأقل ممن درسوا في الغرب وحصلوا على درجاتهم العلمية من جامعاته، أو ممن يؤمنون بالعلمانية والتغريب حتى وإن لم يدرسوا في الغرب بالسفر إليه حيث درسوا آراء مفكري الغرب في مختلف العلوم وفتنوا بها وقاموا بتدريسها، وإيهام الطلبة بأهمية استلهام التجربة الغربية ونقلها بكل حذافيرها، ووصل الأمر ببعضهم إلى رفع شعار «العلمانية هي الحل» للتصدي لشعار «الإسلام هو الحل»، ورفضهم أي محاولة لـ«تعريب» العلوم والحرص على بقائها باللغات الأجنبية التي يجيدونها أكثر من إجادتهم للعربية التي ينظرون إليها نظرة دونية، والوقائع الدالة على ذلك أكثر من أن تحصى.

وأوضح خليفة أن كارثة التطبيع العلماني في التعليم العربي لا تقف عند التعليم الجامعي، بل تمتد إلى ما قبل المدرسة حيث سنوات الدراسة في رياض الأطفال، ولنا أن نتصور أنه حسب الإحصاءات الرسمية، فإن دولة الإمارات العربية تعد الأولى على مستوى العالم من حيث عدد المدارس الدولية قرابة ٦٠٠ مدرسة، وهذا العدد أكبر من المدارس الدولية بالصين، وعلى المستوى العربي تأتي السعودية ومصر وقطر بعد الإمارات، وهذه الأربع ضمن أكثر ١٥ دولة بها مدارس دولية عالمياً، وعليها إقبال كبير من أولياء الأمور الذين يدفعون مبالغ طائلة بالعملات الأجنبية، ويتفاخرون بانتساب أولادهم لهذه المدارس التي تدرس كل المواد باللغات الأجنبية، وتناسى هؤلاء أن اللغة هي وعاء الفكر واللبنة الأولى للانتماء والهوية، وهذا التحول السلبي لسيطرة العلمانية والتغريب على مدارسنا وجامعاتنا يظهر أكثر في دول المغرب والخليج.

تهميش متواصل

وأكد د. خليفة أن تجربة علمنة وتغريب التعليم بدول المغرب العربي لا تختلف كثيراً عن مصر، فكما جرى من تهميش الأزهر تم تهميش جامع الزيتونة بتونس، والقرويين بالمغرب، مع استبدال الاحتلال الفرنسي بالإنجليزي، مع تجاوز التأثير الإيجابي لجامعتي الزيتونة والقرويين حدود بلادهما ليصل للدول المجاورة، فتحالف الاحتلال والتغريب والتنصير والعلمانية لطمس هوية التعليم الديني، كما تم التركيز على «فرنسة» التعليم في دول المغرب وخاصة الجزائر التي كان هناك مخطط لضمها لفرنسا، وما زال كثير من أبناء دول المغرب يتحدثون الفرنسية بطلاقة، في حين يعجزون عن الحديث بالعربية حتى اليوم رغم محاولات استعادة الهوية فيها وخلع رداء «الفرنسة».■

فلسطين المحتلة.. تغيرات عميقة نحو الفكر الإسلامي وانحسار العلمانية

شهدت التركيبة الفكرية والأيديولوجية في المجتمع الفلسطيني تغيرات عميقة خلال العقود الأربعة الماضية، تمثل ذلك ببروز تيارات إسلامية تبنت شعار «الإسلام هو الحل»، فيما تراجعت شعبية وقاعدة التنظيمات التي تتبنى الفكر اليساري والعلماني بشكل لافت، وبقيت على الساحة الفلسطينية بشعبية أقل مما كانت عليها في بدايات انطلاقاتها؛ لأسباب كثيرة، أبرزها إخفاق التنظيمات الفلسطينية التي تتبنى النهج العلماني في تحقيق الانتصار على الصهاينة طيلة سنوات الثورة الفلسطينية التي انطلقت عام ١٩٦٥م، التي تبعها الذهاب لـ«اتفاقيات سلام» مع الصهاينة لم تحقق حلم الفلسطينيين في التحرر وإقامة الدولة الفلسطينية، فيما تبنت التنظيمات الإسلامية «نهج المقاومة» ضد المحتل الصهيوني كسبيل وحيد للتحرر والخلاص من المحتل الصهيوني.

فلسطين المحتلة – محمد سالم:

أكد أستاذ العلوم السياسية بجامعة الأزهر في غزة د. مخيمر أبو سعدة لـ«المجتمع» أن عدة ظروف في فترة الستينيات والسبعينيات ساهمت في تبني الفكر اليساري والماركسي سواء في فلسطين أو في المنطقة العربية بشكل عام، وكان ذلك له علاقة وثيقة بالثورة الفيتنامية، وبروز حركات اليسار، والحركات ضد الإمبريالية والرجعية، وانتشار الفكر الناصري والقومي، وكل ذلك كان سبباً في تبني التنظيمات الفلسطينية الفكر الثوري لهذه الحركات والأفكار.

وأشار أبو سعدة إلى أنه في أواخر السبعينيات من القرن الماضي، بدأت الجماهير الفلسطينية تتجه نحو التيارات الإسلامية، وكان للثورة الإسلامية في إيران الأثر الكبير في ذلك، لافتاً إلى أن السبب الثاني والأهم للتوجه نحو الفكر الإسلامي في فلسطين هو عدم نجاح المشاريع اليسارية والقومية في تحقيق الانتصار على الصهاينة، وكان لهزيمة يونيو ١٩٦٧م الأثر العميق في تبني «خيار الإسلام هو الحل».

واتفق مع أبو سعدة الكاتب الفلسطيني أكرم عطا الله الذي أشار لـ«المجتمع» إلى

أبو سعدة: إخفاق التنظيمات اليسارية والقومية في تحرير فلسطين ساهم في بروز «الإسلامية»

أبو رمضان: خصوصية الحالة الفلسطينية تتطلب بناء شراكة وطنية بعد فشل طريق التسوية مع الصهاينة

اليافاوي: العلمانية قوبلت بالرفض.. وبرزت التوجهات الإسلامية للشعوب لتحقيق طموحاتها

عطا الله: نهج المقاومة أحد أهم أسباب انتشار الفكر الإسلامي في فلسطين

أن أحد أهم أسباب انتشار الفكر الإسلامي في فلسطين هو «نهج المقاومة»، مبيناً أنه بعد فشل «اتفاقية أوسلو» حدث تغيُّر جذري في توجه المجتمع الفلسطيني نحو الفكر الإسلامي الذي تبنى نهج المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني.

انبهار بالماركسية والعلمانية

بدوره، قال الباحث في مجال التاريخ د. ناصر اليافاوي لـ«المجتمع»: إن نجاح الثورة البلشفية في روسيا، والمرتكزات التي اعتمدت عليها الماركسية والعلمانية وما ارتبط بها من المفاهيم والتصورات عن طبيعة الكون والحياة والإنسان كان موضوع جدل وأخذ ورد، بين مؤيد ومعارض، مضيفاً أن هناك من انبهر كثيراً بمقتضياتها وتبعاتها إلى درجة أنه يراها بعين القداسة.

وتابع: لذا رأينا العديد من التنظيمات والحركات الوطنية أخذت، وعملت، واسترشدت بها وبمن شابهها من ثورات، ولكن على الأرجح، بعد نجاح الثورة الإيرانية على يد الخميني، ظهر هناك رأي باعتبار الحركات الماركسية والعلمانية أمراً دخيلاً على تصورات البلاد والعباد، وهي مفسدة لأفكار الناس واعتقاداتهم وسلوكهم اليومي، ومن هنا بدأت العديد من الحركات الدينية الإسلامية المرتكزة على أفكار الإمام أبي الأعلى المودودي، ومن بعده حسن البنا، وسيد قطب، ومراجعات حسن الهضيبي.

وأوضح اليافاوي أن بروز التيارات الدينية واقع محتوم لا مفر منه؛ لأن أمرها يرتبط بواقع الحياة والعقيدة في حياة المسلمين، وخاصة الفئات المهمشة، مؤكداً أن المرحلة الجديدة لهذا التوجه خاصة في فلسطين كان بعد عام ١٩٨٢م، واليوم نتج هذا التغير الكبير في الأفكار وتبني الفكر الإسلامي، ويمكن القول هنا: إن الحالة في فلسطين جزء من هذا الأمر.

وأشار إلى أنه مع انتشار الفقر، وغياب العدالة الاجتماعية، ومظاهر سوء التوزيع؛ واحتكار الطبقة الحاكمة ومن تقرب إليها كافة مفاصل الحياة والترف والوظائف العليا، كان التنظير العلني في المساجد والجامعات والأندية والجمعيات الإسلامية، وامتد التنظير ليشمل كافة مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتربوية، والتركيز على أن المفاهيم والتصورات الحزبية الإسلامية هي كل ما اتصل بالتصورات العقلية لدى الإنسان وببنية الدولة، حتى أدق مختلف جوانب الحياة الاجتماعية؛ وهو ما نجح بالفعل في إحداث الاستقطاب والجذب لتبني الفكر الإسلامي خاصة في فلسطين.

خصوصية فلسطين

فيما اعتبر رئيس شبكة المنظمات الأهلية الفلسطينية محسن أبو رمضان لـ«المجتمع» أن ظاهرة التعددية الفكرية صحية في أي مجتمع من المجتمعات، ومنذ انطلاق التنظيمات الفلسطينية في منتصف الستينيات من القرن الماضي كانت هناك تيارات متنوعة، مشيراً إلى أن ما يميز القضية الفلسطينية أنها ركزت على الخصوصية الوطنية وعلى هوية الشعب الفلسطيني خاصة بعد محاولات طمسها أثر النكبة الفلسطينية.

وبيَّن أبو رمضان أنه بعد الانتفاضة الشعبية الكبرى في عام ١٩٨٧م، ظهر التيار الإسلامي القوي متمثلاً في حركة المقاومة الإسلامية (حماس) كتعبير وطني عن المقاومة الفلسطينية بمرجعية دينية سياسية.

وأكد أن كل المحاولات لدمج وضم كل من «حماس» و«الجهاد الإسلامي» لمنظمة التحرير الفلسطينية باءت بالفشل على الرغم من الحوارات المتعددة، مما ولَّد حالة استقطاب حادة في ظل عدم الاتفاق على الشراكة السياسية؛ وهو ما أضر بالقضية الفلسطينية، خاصة أن هناك تبايناً واضحاً فيمن يتبنى نهج التسوية ونهج المقاومة، على الرغم من أن نهج التسوية فشل في تحقيق الإنجازات الوطنية، والحل الوحيد هو التوجه لانتخابات تشريعية ورئاسية وبناء جبهة وطنية موحدة.■

العلمانيــة.. بين مقاصــد الشريعــة وجدليــة المصالــح الإنسانيــــة!

يبدو وجْهُ الشبه الوحيد بين العلمانية ومقاصد الشريعة من كونهما نظريتين ذواتي رؤية متعلقة بالحياة الإنسانية وقضاياها المختلفة؛ ومن ثَمَّ فقد تلتقي العلمانية مع مقاصد الشريعة، دون أن يتفقا بالضرورة في بعض الوسائل وفي شِقٍّ من الغايات، ولكنهما يختلفان اختلافاً كلياً في المنطلقات المرجعية وفي جوهر الغايات وغالبية الوسائل الموصِّلة لتلك الغايات.

ولعل من أهم معايير التمييز المنهجي بين العلمانية ومقاصد الشريعة معيار النشأة والتطور؛ فليس ثمة خلاف أو شك من حيث المبدأ في أقدمية مقاصد الشريعة وجوداً؛ نظرية وتطبيقاً، وأسبقيتها على النظرية العلمانية، وتحديداً خلال القرون الأولى التي شهدت تجاوباً واسعاً مع تحديات الحياة الحضارية، وما فرضته هذه التحديات من متطلبات إعمال النظر والتفكير والتجديد والتطوير الذي يلبي احتياجات الحياة ويحقق مصالح العباد على أضواء مقاصد الشريعة الغراء.

د. عطية الويشي

أستــاذ التاريــخ والحضــارة المشــارك

إنَّ المصادر الإسلامية تفيد بأنَّ فكرة المقاصد كانت آليةَ إعمال عقلي ووجدان مرتبطة بوجود الأمة المسلمة منذ مرحلة التأسيس خلال عصر النبوة وما تلاه من عصور، ثم جاء علماء الأمة لوضع مفهوم المقاصد في دائرة التنظير والتأطير، ومن خلال الاستقراء المطَّرد في الأدبيات الإسلامية، نستنتج أنَّه لم تخلُ السجالات العلمية المركزية في أي عصر من العصور من موضوع مقاصد الشريعة، ويأتي في طليعة هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أولئك الذين «عرفوا مقاصد الشريعة فحصّلوها وأسَّسوا قواعدها وأصَّلُوها، وجالت أفكارهم في آياتها، وأعملوا الجد في تحقيق مباديها وغاياتها»[1]، وقد مهدوا مسيرة حياتهم وحياة مَنْ بعدهم بإيعاز من هذه المقاصد.

ولقد مضت المقاصد ملحقة بفكر الأمة وضميرها وحركتها العلمية ومسالك عيشها عبر القرون الأولى؛ وتشير الدراسات إلى أنَّ حضور فكرة مقاصد الشريعة، كرؤية للحياة مستقاة من فهم الوحيين ومُستلهَمة من نصوصهما الحية، كانت موجودة منذ زمن متقدم؛ ولئن اشتهر أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) الغرناطي الأندلسي بالتضلع والريادة في علم مقاصد الشريعة الإسلامية، فإن مقاصد الشريعة كانت مُعتبرة؛ لفظاً ومضموناً، في أدبيات العلماء الذين سبقوه؛ فمن قبله شرع نفرٌ من الأصوليين، كالجويني، وأبي حامد الغَزّالي، وغيرهما، في تقسيم المصالح إلى خمس ضرورية: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، ولقد كان الغزالي من أكثر الأصوليين الذين ذكرهم الشاطبي في موافقاته[2]، فقد ذكره أكثر من أربعين مرة في أغلبها موافقاً

ومؤيداً ومستدلاً بآرائه، ومُحيلاً إلى كتبه، كما استفاد الشاطبي كثيراً من الرازي، والعز بن عبدالسلام، والقرافي[٣].

فلسفة المصلحة بين مقاصد الشريعة والعلمانية:

تأتي قضية المصلحة في طليعة الموضوعات التي شهدت استقطاباً حاداً وجدلاً حقيقياً، ومن حيث المبدأ، ليس بوسعنا إنكار ما للنظرية العلمانية من غايات تتعلق بمصالح الناس، لكن يبدو الخلاف من حيث لفظ المصلحة وشكلها يسيراً، لكنَّ الخلاف الحقيقي حول اصطلاح المصلحة وتداعياته بين الفكرين الإسلامي والعلماني، هو ما يفسر ذلك الصراع الفكري الذي لم يهدأ ولن يهدأ أبداً بين الفريقين!

إذا كانت المقاصد التي يُنظر فيها أصلاً إلى مراد الشارع، ويُتحرى فيها رضاه سبحانه وتعالى، فقد أراد العلمانيون أن يجدوا من خلالها مدخلاً للتنصل من المرجعية القرآنية، فإن المصالح التي يُنظر فيها أصلاً إلى تقدير حال الإنسان وما يلائمه وما يصلحه[٤]، نجد أنَّ كافّة جهود العلمانيين منصبّة باتجاه البحث في مبحث هذه المصالح والتوسع فيها بضورة لافتة، إمعاناً في تجويف هذا المدخل تسهيلاً للطعن والإلحاد في آيات الله وشريعته.

إن المشكلة ليست في ضرورة اعتبار المصلحة، فالكل متفق على أن المصلحة هي مناط التشريع، ولكن المشكلة أي مصلحة نعني؟ ومتى نعد الشيء مصلحة؟ ومتى نعده مفسدة؟ ومتى نعده نفعاً؟ ومتى نعده ضرراً؟ ومتى نعده مصلحة راجحة؟ ومتى نعده مصلحة مرجوحة؟ ومتى نعده مصلحة حقيقية معتبرة؟ ومتى نعده مصلحة وهمية متروكة[٥]؟ كذلك ما المعيار الذي يحكم المصالح؟ لأن ما يكون مصلحة لشخص قد يكون ضرراً لشخص آخر، وما يكون مصلحة لشخص في زمن قد يكون ضرراً له في زمن آخر؛ ومن ثَمَّ، فإنَّ اعتبار المصلحة، وفقاً لهذه الرؤية العلمانية، وتحرِّي شرعيتها ليس عن طريق مجرد «النظر في المصلحة المعاصرة ومدى موافقتها للشريعة، بل أن تنظر في المصلحة المعاصرة ثم تبحث في كيفية جعلها من مقاصد الشريعة! بل من الشريعة ذاتها»[٦].

وتتحرف غالبية العلمانيين إلى أطراف الحديث حول المصلحة التي هي غاية مقاصد الشريعة لا بالمعنى الذي استقرت عليه أعراف علماء المسلمين عبر القرون، بل بمعنى: «إمكانية تجاوز الفهم الحرفي للنصوص والنظر إلى ما وراء هذه النصوص من حكمة ومن مقاصد»[٧]، حيث ينحصر مفهوم مقاصد الشريعة عندهم في المفهوم الذي ينبغي أن «يتقدم على كافة النصوص، وإنَّ الدين عندهم، بما فيه مقاصد الشريعة، يتلخص جميعاً في جملة واحدة هي: مصلحة العباد»[٨]، حسبما يراه أولئك العباد لأنفسهم لا حسبما استقرت عليه أعراف الشرع، وجرت به العادة المستقرة التي راعت المصلحة فلم تتخلف أبداً؛ ومن ثَمَّ، يذهب العلمانيون إلى أنَّ «كل ما حقق هذه المصلحة فهو شرع الله عنده، فتجارة الخمور والبغاء تحقق مصالح اقتصادية عظيمة، وتحريمها قديماً كان استجابة لظروف معينة»[٩]!

وهنا ينبغي التأكيد على أنَّ «الفقهاء حين صاغوا نظرية المقاصد لحفظ الشريعة وأحكامها، ولا شك أن من مصلحة العباد حفظ الشريعة التي لا قوام للنفوس والأبدان إلا بها، أما العلمانيون فجعلوا من نظرية المقاصد، ومن الاعتبار بالمصلحة، أية مصلحة، تكأة لإفراغ الشريعة من كافة محتوياتها[١٠]»؛ فمثلاً يعتبر العلمانيون أن ما شرعه الإسلام بالنسبة للمرأة من أحكام كان بداية الطريق وفتح الباب، فالمقصد الإسلامي من تلك النصوص تحرير المرأة، وبالتالي فكل ما أعان على تحريرها فهو هدف ومقصد إسلامي[١١].

ويبلغ التلبيس المصلحي مداه عندما يذهب خليل عبدالكريم إلى أنَّ الشورى شرعها الإسلام للحد من الدكتاتورية، إذن

فكرة المقاصد آلية إعمال عقلي ووجداني مرتبطة بوجود الأمة المسلمة منذ التأسيس

العلمانيون أرادوا من المقاصد إيجاد مدخل للتنصل من المرجعية القرآنية

المصالح عند العلمانيين شعارات لتحقيق مكاسب أيديولوجية بلباس إسلامي مزيَّف

المقصد هو تحقيق العدل، فكلما تحقق هذا الهدف فهو مطلوب شرعاً كالديمقراطية[١٢]، فحيث تكون مصالح الناس فثم شرع الله تعالى[١٣]؛ وهكذا يمكن نسخ الإسلام كله، بل وقراءة كل المذاهب بما فيها الإلحاد بل والعلمانية فيه، بدعوى تحقيق مصلحة العباد[١٤]!

وهكذا، ننتهي إلى أن الخطاب العلماني حين يتجاهل القوانين والضوابط التي وضعها أهل المقاصد فليس من حقه أن يتكلم باسم المقاصد، لأن هذا لون من الافتئات الهزلي أو المراوغات الإلحادية، فلو راعى العلمانيون نظام المقاصد وقواعدها وقوانينها لما خرجوا بارتجالات عبثية ينسبونها إلى دين الله عز وجل؛ ولذلك فإن توظيف المقاصد من أجل تحقيق مصالح انتقائية دون ضوابط أو معايير ما هو إلا وسيلة لهدم الشريعة، وإقصاء القرآن الكريم عن القيادة والمرجعية، وتبرير للحلول التي تمليها المناهج الحديثة، وتمرير للقيم الوضعية التي تتشدها كافة التيارات العلمانية والإلحادية[١٥].

إنَّ ما يقدمه العلمانيون من مفاهيم كالمقاصد والمصالح وغيرها ليست سوى شعارات مُفرَغة من مضامينها[١٦]؛ بهدف تحقيق مكاسب أيديولوجية بلباس إسلامي مزيَّف؛ سعياً إلى إيجاد مساحات للحركة المريحة في الفراغ الفكري والثقافي للمجتمعات الإسلامية.

إنَّ المقاصد في ميزان الإسلام تابعة للنص وخاضعة له ولكل توابعه، كالسُّنة والإجماع والقياس والاستحسان وغير ذلك[١٧]، فضلاً عن كون هذه المقاصد مرتبطة أصلاً بحكمة إلهية بعضُها مُعلَن بينما بعضها الآخر غيبي مَرَدُّ تقديره إلى الحكيم العليم سبحانه.

أمّا المقاصد، في النظرية العلمانية، فهي عبارة عن واحة الأهواء المنفلتة من ضوابط العقلانية المؤمنة، وساحة لتحقيق الأغراض المختلط في الحق بالباطل والمشروع بالممنوع، فوظيفة المقاصد هي إرخاء جفن الضمير عن مطالب الشهوات والنزول عند رغباتها وتلبية مطالبها من حِلٍّ وحرام بداعية المصلحة!

لم يَعُد لدينا أدنى شك في غايات المشاريع العلمانية في بلداننا العربية والإسلامية، لم تتوقف عبثاً عن تشويه الإسلام عقيدة ونظاماً، دعوة وفكرة، مدنية وحضارة وتاريخاً.. وكل ذلك ليس بغريبٍ ولا عجيب، بل معروف ومألوف!

وإنما تكمن حاجتنا في دورة تجديدية تعيد الإسلام إلى مركزية الفاعلية والتأثير الحضاري، وتتيح لقيمه الأصيلة فرصة الحضور في مواقع السلطة والثروة، وتمشِّط ساحته من حركة اللصوصية المشبوهة، وتمنعه من النخب الفرعونية المتنمرة، وتصونه من مضايق النفاقية المعيقة لكل منطق سديد أو توجه رشيد! وثم أبجديات تحقيق المصالح التي يتعيَّن علينا العمل من أجل امتلاك آلياتها الفاعلة اعتباراً بمقصد حفظ العقل من التخريف والتزييف وتحقيقاً لمصلحة الاتزان العقلي والتوسُّط الفكري!■

المقاصد بالإسلام تابعة للنص وعند العلمانيين واحة للأهواء المنفلتة من ضوابط العقلانية

الهوامش

(١) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، جـ١، ص٢١.

(٢) الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص٢٥٤.

(٣) الريسوني، المرجع السابق، ص٢٥٤ و٢٥٦.

(٤) أحمد الحاج، العلمانيون والقرآن الكريم.. تاريخية النص، ص٤٠٨.

(٥) أحمد الريسوني ومحمد جمال باروت، الاجتهاد: النص الواقع المصلحة، ص٣٣.

(٦) فهد صالح العجلان، معركة النص، منشورات مجلة البيان، الرياض، ١٤٣٣هـ، جـ٢، ص٦٨.

(٧) عبدالمجيد الشرفي، تحديث الفكر الإسلامي، ص٧٥.

(٨) سيد القمني، انتكاسة المسلمين إلى الوثنية، ص٢٩.

(٩) خليل عبدالكريم، الإسلام بين الدولة الدينية والدولة المدنية، ص١٠ و١١.

(١٠) مصطفى باحُو السلاوي المغربي، العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، ص٢٨٥.

(١١) خليل عبدالكريم، الإسلام بين الدولة الدينية والدولة المدنية، ص١٠ و١١.

(١٢) خليل عبدالكريم، المرجع السابق، ص١١ و١٢.

(١٣) المرجع السابق، ص١٠.

(١٤) مصطفى باحُو السلاوي المغربي، العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، ص٢٨٥.

(١٥) أحمد إدريس الطعان الحاج، العلمانيون والقرآن الكريم، ص٤٠٦، بتصرف.

(١٦) أحمد إدريس الطعان الحاج، المرجع السابق، ص٤١٨.

(١٧) المرجع السابق.

الحج.. ووحدة الأمة

بقلم- جمال الشرقاوي:

من يتأمل مشهد الحجيج إلى بيت الله الحرام وهم بلباس واحد، ويتحركون من منسك إلى منسك إلى وجهة واحدة، ويرددون بصوت واحد، وبلغة واحدة، دعاءً واحداً: «لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك»، يدرك إلى أي مدى يرسخ الإسلام معنى الوحدة في حياة المسلمين، ويذكرهم ويدربهم عليها في عباداتهم، من صلاة، وصيام، وحج.. إنه لمشهد حي يجسد معنى الأمة الواحدة، دستورها القرآن، وشريعتها الإسلام، وقدوتها سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢).

وإن هذه الوحدة التي عقد الله تعالى أواصرها بين القلوب المؤمنة هي منحة ربانية لا يمكن لأحد أن يعقد لواءها ولو أنفق ما في الأرض جميعاً، وصدق الله العظيم: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٣)، ولن يبلغ المسلمون هذه المكانة الكبيرة من الوحدة إلا باتباع منهج الله سبحانه ونبذ كل ما يفرق صفهم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

وبعودة الأمة الصادقة؛ حكاماً ومحكومين، إلى الله سبحانه وتعالى بتطبيق شرعه، مع الثقة المطلقة فيه تعالى، ومع العمل على تربية النفوس على قيم الإسلام ومبادئه، وتوطينها على مخالفة الهوى والإقلاع عن السلبية، والاستمساك بالهوية في مواجهة الذوبان والانجراف في المشاريع التغريبية التي تسعى لخلع الأمة وشبابها من عقيدتها.. بكل ذلك تتحقق معاني الوحدة، ويتوحد الصف المسلم ذو البنيان المرصوص الذي يصمد في مواجهة محاولات تفتيت الأمة وتفريق صفها أمام موجات التغريب والانحلال وتضييع الهوية.

إن ائتلاف القلوب والمشاعر واتحاد الغايات والوسائل من أوضح توجيهات الإسلام، وإن كانت كلمة التوحيد باب الإسلام، فإن توحيد الكلمة والتعاون من أجلها سر البقاء والنجاح والعزة.

ولأن الحج طريق إلى الوحدة فهو عبادة جماعية لم تُفرض في الإسلام إلا بعد أن بدأت تظهر الدولة الإسلامية وتتضح معالمها وتبرز قوتها؛ فقد قيل: إنها فرضت سنة ست من الهجرة عام الحديبية؛ أي بعد أن أصبح المسلمون نداً لقريش؛ واستكمل بنيان الدولة، وقيل: فرضت سنة تسع أو عشر من الهجرة، وكل هذا يعني أنها لم تفرض إلا بعد أن قوي المسلمون، وأصبح لهم شوكة، وهذه الشوكة لا تكون إلا بعد أن تم الاتحاد تحت راية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء الحج ليجسد هذه المعاني.

إن من دروس الحج العظيمة التضحية والفداء والجهاد، فالحج بمناسكه جهاد، كما أن الانتقال فيه من منسك إلى منسك يحيي مشاهد تضحية خليل الله إبراهيم بابنه إسماعيل عليهما السلام الذي حفر في التاريخ درساً بليغاً في الطاعة لله تعالى ثم لوالده.

وإن هذه الدروس جميعاً التي يجسدها الحج إلى بيت الله الحرام كل عام تؤكد أن الأمة الإسلامية تمتلك إمكانات هائلة لاستعادة قوتها ووحدة صفها، إن عادت إلى الله سبحانه عودة صادقة، واستعادت ثقتها بنفسها، ونفضت عن كاهلها عوامل الضعف والتفرق، ورعى حكامها حقوق شعوبهم في الحرية، والحياة الكريمة، ويوم تعي الأمة هذه الرسالة جيداً تكون قد وضعت أقدامها على طريق النهوض والتقدم وبناء المستقبل.■

الإسلام.. بين المثالية والواقعية

الشُّبهة

أين هذا الإسلام الذي تفتخرون به؟! ومتى طُبقت هذه التعاليم التي تتشدقون بها؟! إنكم تتحدثون عن نظام مثالي رائع في ذاته، ولكنه لم يوجد في واقع الناس، فإذا سألناكم عن التطبيق العملي لم تجدوا إلا فترة قصيرة في حياة الرسول والخليفتين الأولين، وتغنيتم بعدل عمر بن الخطاب، فإذا فتشنا في تاريخ الإسلام بعد ذلك لم نجد إلا ظلمات بعضها فوق بعض، من إقطاع وظلم، واستبداد، وتأخر ورجعية!

د. أحمد ناجي
من علماء الأزهر الشريف

تفنيد هذه الشبهة وبيان بطلانها

هذا ما يقوله أعداء الفكرة الإسلامية في الشرق والغرب، بل هذا ما يقوله بعض المسلمين الذين لم يتعرفوا على التاريخ الإسلامي إلا من خلال ما كتبه المستشرقون وتلاميذهم.

أولاً: ينبغي أن نفرق بين أمرين مهمين، هما:

١- مثالية النظام ذاته.

٢- ومثالية التطبيق.

فهل الإسلام بطبيعته نظام مثالي لا يقبل التطبيق العملي في واقع الناس، لاعتماده على عناصر خيالية أو مستحيلة، أم هو نظام عملي، ولكنه لم يطبق بصورته الكاملة؟

والفرق بين الأمرين كبير، فحين يكون نظاماً مثالياً في ذاته، فلا أمل في تطبيقه أبداً مهما تبدلت الأحوال والظروف، أما إذا كان نظاماً واقعياً، ولكنّ ظروفاً بعينها قد حالت دون تطبيقه، فالأمر مختلف، والأمل في التطبيق قائم متى زالت هذه الظروف، فأي الوضعين ينطبق على الإسلام؟

الأمر لا يحتاج إلى كثير جهد لنؤكد عملية النظام الإسلامي، ومجرد تطبيقه ولو لمرة واحدة في تاريخ البشرية يثبت بالدليل القطعي أنه نظام قابل للتطبيق، وأنه لا يعتمد على عناصر خيالية ولا مستحيلة[1].

أما لماذا لم يتكرر عهد الخلفاء الراشدين مرة أُخرى إلا في فترات خاطفة من التاريخ كعهد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه مثلاً فسؤال وجيه، ورده موجود في ملابسات التاريخ، سواء منها ما كان محلياً في الرقعة الإسلامية أو عاماً في حياة البشرية، ويجب أن نلفت الأنظار إلى أمرين مهمين:

الأول: أن القفزة التي قفزها الإسلام بالبشرية من وهدتها التي كانت فيها، إلى مستواها الرفيع الذي تحقق في عهد الخلفاء الراشدين، لم تكن قفزة عادية، فهي معجزة من معجزات الإسلام حققها في واقع الناس، ولكنها كانت في حاجة إلى إعداد طويل وتربية شخصية للأبطال الذين حققوا المعجزة في أشخاصهم وأعمالهم جميعاً.

وانتشر الإسلام بسرعة خاطفة لا مثيل لها من قبل ولا من بعد في كل حركات التاريخ، وتلك معجزة أُخرى من معجزات الإسلام لا تفسرها كل التفسيرات المادية والاقتصادية التي يفسر بها الماديون تاريخ البشرية.

هذه السرعة في الانتشار جلبت إلى الإسلام أقواماً متعددين ليسوا كلهم قد

الإسلام لا يعتمد على القانون وحده حيث يضع التشريع ولكنه يهذب النفوس

.. ونظام عملي بحت طبقته البشرية مرات وهي اليوم أقدر على تطبيقه

تشربوا روح الإسلام، ولا فهموا حقيقة نظمه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولم يكن في الوسع تربيتهم جميعاً بالصورة التي تربى عليها المسلمون الأوائل في الجزيرة العربية، وكان من جراء دخول هذه الأقوام في الإسلام وحسبانها من تعداد المسلمين، أن اتسعت رقعة الإسلام؛ ولكن مبادئه لم تتغلغل في نفوس المسلمين الجدد فسهل الانحراف والبعد عنها.

والثاني: أن هذه القفزة الإسلامية لم تكن طبيعية بالنسبة لـ«التطور» البشري، فقد رفعت الناس طفرة من الرق إلى صورة من العدل الاجتماعي لا تزال تعتبر خطوة تقدمية بالنسبة لكل النظم التي جربتها البشرية، كما رفعتهم من حضيضهم النفسي الغارق في شهوات الأرض إلى قمة تفخر بها الإنسانية في جميع عصورها، وقد أطاق الناس وقتها هذا الارتفاع الشاهق المفاجئ؛ لأن الدفعة الروحية الممثلة في الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانت كقوة السحر التي ترفع الإنسان فوق طاقاته العادية وتجعله يصنع ما يشبه المعجزات، فلما انحسرت هذه الدفعة الهائلة ارتد الناس عن آفاقهم العليا، وإن كانوا مع ذلك قد احتفظوا بقيم الإسلام.

وإذا أردنا أن نطبق الإسلام اليوم في واقع الحياة فلن نقفز قفزات معجزة كتلك التي قفزها العرب في صدر الإسلام؛ لأن التجارب والسوابق قربتنا من تلك القمة العالية، فصارت النقلة أقرب، وصار الجهد المطلوب أيسر من ذي قبل.

إن الأمم التي تعيّن حكامها اليوم بالانتخاب العام، وتعزلهم حين تراهم انحرفوا عن سواء السبيل، لا تزيد على أنها تطبق الصورة الإسلامية للحكم في صدر الإسلام من جانبها العملي، وقد كان هذا معجزة في عصر أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، ولكنه اليوم في متناولنا حين نريد، أي حين يصير لدينا الوعي الذي تملكه هذه الأمم، فإذا كنا نملك ذلك بتقليد الغرب، فلماذا نعجز عنه إذا طلبناه باسم الإسلام؟

القضية في جوهرها يجب أن توضع على النحو التالي:

هل تلك النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ممكنة في ذاتها أم غير ممكنة؟ فما دامت ممكنة في أي مكان وفي أي نظام، فكيف لا تكون ممكنة في الإسلام وهو أول نظام طبقها بالفعل على ظهر الأرض؟!

ولا عبرة بالوهم الذي يثيره هؤلاء، من أن النظم الحديثة قائمة على أسس علمية، والإسلام قائم على العواطف والنوايا الطيبة، فالجانب التشريعي في الإسلام ليس عواطف، والخلفاء الراشدون حين كانوا يتشاورون في تطبيقه ويضعون له التفسيرات الفقهية لم يكونوا حالمين ولا معتمدين على حسن نوايا الناس، بيد أن الإسلام يختلف عن غيره في أنه لا يعتمد على القانون وحده، فهو يضع التشريع، ولكنه يهذب النفوس وينظفها حتى تتطوع بما فوق الواجب المفروض، وتنفذه بدافع من الداخل لا خوفاً من سطوة الحاكم فحسب، وهذه أبرع سياسة يمكن أن تطبق في عالم الناس[٢].

إن هؤلاء يحسبون أنهم يوقعوننا في حرج شديد عندما يقولون: لا تحاجونا بعمر؛ حيث إنه لن يتكرر في التاريخ!

وهذا انحطاط فكري، فنحن لا نحاجّ الناس بشخص عمر رضي الله عنه -مع عظم شأنه- ولكننا نحاجهم بتطبيقاته العملية، فحين قرر عمر عدم قطع يد السارق إذا كانت هناك شبهة في أنه اضطر للسرقة لحاجته إلى الطعام، فهذا تطبيق لا يحتاج لشخص عمر لتنفيذه، وعمر استمده من قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣)، ومن أصل ثابت في الشريعة الإسلامية: «ادرؤوا الحدود بالشُّبُهات»، وحين ننفذه اليوم فلن نجد قوة خفية أو ظاهرة تمسك يدنا وتقول لنا: كيف تنفذونه وعمر غير موجود!

أما المغالطة الكبرى التي ارتكبها هؤلاء، فهي الزعم بأن الإسلام لم يوجد إلا في عهد الخلفاء الراشدين، وهي شبهة يؤمن بها بعض المسلمين!

نعم إن الصورة الكاملة للإسلام لم تنفذ بعد الخلفاء الراشدين إلا في فترة خاطفة في عهد عمر بن عبدالعزيز، هذا حق؛ ولكن هذا لا يعني أن الإسلام قد انتهى بعد ذلك، فقد فسدت الحكومة وحدها فساداً جزئياً أو كاملاً، وبقي المجتمع إسلامياً حقاً، يعيش بروح الإسلام التي لا تقسم المالكين وغير المالكين إلى أسياد وعبيد، بل تجعل منهم إخوة مترابطين مشتركين في الجهد وفي الجزاء.

وبقيت الشريعة الإسلامية هي التي تحكم في كل جزء من أجزاء العالم الإسلامي، ولم تقم محاكم خاصة على هوى الإقطاعيين كما حدث في أوروبا في القرون الوسطى.

ليس الإسلام، إذن، نظاماً مثالياً بالمعنى السيئ للمثالية، وإنما هو نظام عملي بحت، طبقته البشرية مرات، وهي اليوم أقدر على تطبيقه مما قبل، فهل يدرك هذا أعداء الإسلام هنا وهناك؟■

الهامشان

(١) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، علي بن نايف الشحود (١/ ٢٣٨)، بتصرف.

(٢) شبهات حول الإسلام، د. محمد قطب (١/ ٢٠٥).

الإجابة لفضيلة الإمام
د. يوسف القرضاوي يرحمه الله

إعداد – د. أحمد ناجي:

العلمانية الإسلامية!

• البعض يردد مصطلح «العلمانية الإسلامية»، فهل يقبل التشريع الإسلامي هذا المصطلح ويتعامل معه؟

– من غرائب ما ذكره بعض الليبراليين، ممَّن يعيشون في أمريكا، ويدورون في فلكها الفكري والسياسي، ما يسمونه «العلمانية الإسلامية»! ولا أدري كيف تكون العلمانية إسلامية؟! هل يقبل أن نقول: الشيوعية الإسلامية، أو اللادينية الإسلامية؟!

إن العلمانية معناها فصل الدِّين عن الدولة، بل فصل الدِّين عن حياة المجتمع، بحيث يبقى المجتمع معزولاً عن الدِّين وتوجيهاته وتشريعاته، فهذا هو مفهوم العلمانية المعروف عند الناس في الشرق والغرب، فكيف يكون هذا المفهوم إسلامياً؟

هل يقر الإسلام على نفسه أن يُعزل عن توجيه الدولة والتشريع لها، بل عن حياة الناس والمجتمع كله، وتبقى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بغير دين؟

تذكر «موسوعة العلوم السياسية» الكويتية: أن العلماني عكس الدِّيني، ويستخدم اصطلاحاً للإشارة إلى مدخل للحياة ينفصل تماماً عن الدِّين، ويتشكل كلية باهتمامات زمنية دنيوية، وهي على المستوى الشخصي تعني استبعاد الحسِّ والشعور الدِّيني من نظرة الفرد إلى جميع الأمور التي تتعلَّق بحياته وعلاقاته وسلوكياته ومعاملاته السياسية وغيرها.

والعلمانية على المستوى العام هي المذهب الذي يؤمن بضرورة إبعاد المؤسسات والمضامين الدينية عن ممارسة أي تأثير في أي من مجالات الحياة، بما في ذلك التعليم والتشريع والإدارة[1].

وهكذا يرى جميع الباحثين من كل الاتجاهات التناقض بين العلمانية والدِّين، لأن العلمانية هي «اللادين»، فكيف تلتقي مع الدِّين؟!

العلمانية تؤمن بضرورة إبعاد المؤسسات الدينية عن ممارسة أي تأثير في مجالات الحياة

فشل العلمانية في ديار الإسلام

• لماذا فشلت العلمانية في بلاد المسلمين؟

– لا يتصور للعلمانية أن تنجح في بلد إسلامي؛ لأنها مناقضة لطبيعة الإسلام الذي تدين به الشعوب المسلمة، ومناقضة لمفاهيمه وسلوكه وتاريخه، ولا يوجد أي مبرر لقيامها، كما وجد ذلك في الغرب النصراني.

كل ما تفعله العلمانية أنها تحاول تغيير طبيعة الأمة واتجاهها، والأمة لا تستجيب لها، حيث ترفض أجهزة المناعة في كيانها زرع هذا الجسم الغريب في داخلها، وتقاومه بكل قوة؛ فينشأ بين الحكم العلماني والأمة المسلمة صراع، يظهر حيناً ويختفي أحياناً، ويمتد يوماً، وينكمش يوماً آخر، ولكنه صراع باق مستمر؛ لأنه صراع بين الذات والعدوان على الذات، وقد يكمن كمون النار في البركان، ولكنه لا بد يوماً أن ينفجر.

والاتجاه العلماني يعوق انطلاق الأمة بكل طاقاتها؛ لأنه غريب عنها، دخيل عليها، لا يحركها من داخلها، ولا يخاطبها، باللسان الذي يهز كينونتها.

وأبرز بلد إسلامي حكمته العلمانية، ونفذت فيه خططها، وضربت بيد من حديد كل من يقاومها، وخاضت في ذلك بحراً من الدم؛ تركيا، بلد الخلافة الإسلامية الأخيرة، الذي قهره «أتاتورك» على تطبيق النموذج الغربي في الحياة كلها، في السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والتعليم والثقافة، وسلخه من تراثه، وقيمه، وتقاليده، كما تسلخ الشاة من جلدها، وأقام دستوراً لا دينياً، يعزل الدين عن الحياة عزلاً كاملاً، قامت على أساسه قوانين مجافية للإسلام كل المجافاة، حتى في شؤون الأسرة والأحوال الشخصية.

فهل استطاع «أتاتورك» وخلفاؤه من بعده، ومعهم الدستور والقوانين، والتعليم، والإعلام، والجيش والشرطة، ومن ورائهم الغرب بكل جبروته وقوته، أن يجتثوا جذور الأفكار الإسلامية، والمشاعر الإسلامية، والتطلعات الإسلامية، والقيم الإسلامية، من حياة الشعب التركي المسلم؟

الواقع الذي يشهده كل من زار تركيا في السنين الأخيرة، تشهد به المساجد المزدحمة بالمصلين من كل الأجيال، وتشهد به المدارس القرآنية، التي تعد بالآلاف، وتشهد به معاهد الأئمة والخطباء، ويشهد به انتشار الكتب

لا يتصور للعلمانية أن تنجح في بلد إسلامي لأنها مناقضة لطبيعة الإسلام ومفاهيمه

العلمانية في الهند لم تعالج الطائفية الكامنة في صدور الهندوس

الإسلامية، ويشهد به حال الأتراك الذين يعيشون في ألمانيا، وغيرها من بلاد أوروبا، هذا الواقع يقول: لا، وألْف لا.

ولا بأس أن أنقل هنا ما كتبته جريدة «لوموند دبلوماتيك» الفرنسية، في ١٨ يناير ١٩٨٣م، عن «تركيا بين مدنية الغرب وأصالة الإسلام»، ونقلته مجلة «الرائد»، التي تصدر في آخن بألمانيا، تقول الصحيفة: بعد قرنين من الإصلاحات، الرامية إلى طبع المجتمع التركي بالطابع الغربي، وبعد نصف قرن من الحكم العلماني، هنالك حديث الآن عن انبعاث الإسلام مجدداً في تركيا، التي كانت من أوائل الدول الإسلامية، التي فصلت بين السياسة والدين.

فالثورة الكمالية (كمال أتاتورك) كانت قد جعلت من العلمانية أساس الدولة وأساس التحديث فيها، مما كان يعني أن الإسلام يجب أن يخرج من الحياة العامة، ليحتفظ فقط بحق التأثير في ضمائر المتدينين، وهكذا تحول الإسلام، الذي هو دين وسياسة قبل كل شيء، إلى مسألة خاصة، بجرة قلم من جانب الدولة، التي راحت تشرف عليه.

والواقع أن فصل الإسلام عن السياسة في بلد مسلم بصورة تامة تقريباً كانت تجربة فريدة، تقوم بها دولة علمانية قائمة على النمط الغربي، وأدى هذا الوضع إلى انتقال الإسلام من موقع السيادة والسلطة إلى موقع الظل في الأوساط الشعبية، وخاصة الفلاحين في الأناضول، وأصبح عرضة للقمع غالباً، فالمدارس القرآنية والزوايا اعتُبرت غير شرعية، ابتداء من عام ١٩٢٥م، على اعتبار أنها مراكز للتخلف والتآمر الرجعي!

ولكن هل انطفأ الإسلام مع ذلك في ضمائر الأتراك، واختفى من الحياة السياسية التركية؟ يبدو أن العكس هو الصحيح، ومع اختفاء الإسلام من عالم الطبقة الحاكمة، تحول إلى مركز الخيارات السياسية في البلاد، فالجمعيات الإسلامية والتعاليم الدينية استمرت تمارس نفوذها وسط الجماهير في الأناضول، بل اكتسبت أنصاراً جدداً.

إن حماس الجماهير التركية للرموز الإسلامية لا يرجع فقط إلى نشاط جمعيتي «النقشبندي» و«القادري» وغيرهما، أو لكون الحكم معادياً للدين، بل يرجع كذلك إلى رفض المجتمع التركي لأي نموذج اجتماعي يخرج عن الإطار الثقافي الإسلامي، وخشية هذا المجتمع من رؤية الهوية الثقافية التركية تذوب شيئاً فشيئاً وسط تنام ي نفوذ نمط الحياة الغربية داخل تركيا[٢].

فشل بعلاج الطائفية

• قرأت مقالة لأحد الكتّاب يذكر فيها أن البلاد التي يكون فيها أكثر من دين تكون العلمانية علاجاً لأوضاعها، حماية لها من التعصب الطائفي، وضرب مثلاً على ذلك بالهند، وإعلان ياسر عرفات بعلمنة الدولة، فما رأيكم في هذا؟

- إن ما يذكره هذا الكاتب حجة عليه لا له، فإعلان العلمانية في كل من الهند ولبنان لم يعالج الطائفية الكامنة في صدور الناس، بل لم يشهد العالم خلال هذا القرن ما شهده من التعصب الطائفي البغيض في كلا البلدين.

فالمسلمون تعرضوا على يد الأكثرية الهندوسية لمذابح شتى، تشيب لهولها الولدان، أقربها مذابح آسام، وبين الهندوس والسيخ معارك ضارية، وصدامات مسلحة، وقد ذهبت ضحية هؤلاء السيخ رئيسة وزراء الهند الشهيرة «أنديرا غاندي»، والعجيب أن هؤلاء الهندوس، الذين يتورعون عن إبادة الفئران والحشرات، ولا يستخدمون مبيدات الذباب والبعوض في الفنادق الكبرى، لأن هذه الحشرات «ذات روح» استباحوا ذبح

الاتجاه العلماني يعوق انطلاق الأمة بكل طاقاتها لأنه غريب عنها دخيل عليها

المسلمين بالألوف، كأنهم ليسوا من «ذوي الأرواح»!

وما أعلنه عرفات يوماً من نيته إقامة الدولة العلمانية في فلسطين ليس حجة شرعية، يستدل بها في مواضع الخلاف، بل إن إعلانه أو توجهه هذا لقي من الاعتراض في الداخل والخارج ما جعله يحاول التعفية على آثاره، والسكوت عنه فيما بعد.

فقد ظن يوماً أن مثل هذا التوجه، أو الإعلان عن الدولة العلمانية، يتعايش فيها العرب المسلمون والنصارى واليهود، ويُطمئن اليهود وأنصارهم في معسكري الغرب والشرق، ويُرضي الفصائل المتعصبة ضد الإسلام من الفلسطينيين، ويُرضي الدول الطائفية من حوله في سورية ولبنان، ويُرضي الحكام العلمانيين من العرب.

والواقع أن هذا التوجه لم يحل المشكلة عند أحد، لا عند اليهود، ولا عند الأمريكيين، أو الروس، أو الغربيين، ولا عند الفلسطينيين أنفسهم، ولا عند جيرانهم في سورية أو لبنان، ولا عند حكام العرب العلمانيين.

هل أوقف توجه عرفات للعلمانية معركة «تل الزعتر»، وما خلفته من مآسٍ وضحايا؟! أو منعت مذبحة «أيلول الأسود»؟! أو أخرت غزو لبنان وحصار بيروت، وإخراج الفلسطينيين منها؟! هل منعت حمامات الدم في صبرا وشاتيلا، ومخيمات اللاجئين في لبنان إلى اليوم[٣]؟!■

الهوامش

(١) موسوعة العلوم السياسية، مادة «العلمانية»، فقرة (٢٠٤) ص ٢٩٨، ٢٩٩.

(٢) بتصرف من كتاب «الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه» لفضيلة العلّامة يوسف القرضاوي يرحمه الله.

(٣) بتصرف من موقع العلّامة يوسف القرضاوي.

التحولات على أداء مقاومة الضفة تصدم الصهاينة

شكل أداء المقاومة الفلسطينية في شمال الضفة الغربية، وتحديداً في جنين، نقطة تحول فارقة في مسار الصراع مع الاحتلال، حيث دلل هذا الأداء البطولي والقدرات العسكرية والعملياتية للمقاومين الفلسطينيين على أن الحرب المفتوحة التي شنها جيش الاحتلال على هذه المنطقة ليس فقط لم تفلح في كسر إرادة تشكيلات المقاومة، بل أنها أججت تصميمها على تعزيز قوتها العسكرية ومفاجأة المحتل بشكل دفعه لتغيير حساباته إزاء واقع هذه المواجهة.

د. صالح النعامي
كاتب فلسطيني متخصص في الشأن الصهيوني

في أكثر السيناريوهات سوداوية، لم يتوقع الكيان الصهيوني ومؤسسته العسكرية أن تتمكن البنى التنظيمية للمقاومة في شمال الضفة الغربية من مراكمة ذلك القدر من القوة العسكرية التي تمكنها من التصدي لقوات جيش الاحتلال وتوقع بها الخسائر، على الرغم من ميل موازين القوى العسكرية بشكل جارف لصالح هذا الجيش.

وقد توقف قادة الاحتلال أمام عدة تحولات رئيسة على أداء المقاومة في شمال الضفة الغربية قلصت من قدرة جيش الاحتلال على تحقيق إنجازات في المواجهة المفتوحة مع المقاومين الفلسطينيين، ولعل أكثر ما لفت نظر محافل التقدير الإستراتيجي في «تل أبيب» حقيقة أن مستوى جرأة المقاومين قلص من قدرة جيش الاحتلال على تركيز فعله الحربي في منطقة بعينها وتقليصه في منطقة أخرى.

وكما تنقل قناة «كان» الصهيونية الرسمية عن ضباط كبار في قيادة المنطقة الوسطى في جيش الاحتلال، وهي القيادة التي تخطط وتدير العمليات الحربية في الضفة الغربية المحتلة، فإن المقاومين الفلسطينيين باتوا يحرصون على الاشتباك المباشر مع القوات الصهيونية المقتحمة للمدن الفلسطينية؛ ما فاقم من مستوى الخطر الذي باتت تتعرض له هذه القوات.

وقد تمثل تعاظم مستوى الجرأة في حقيقة أن المقاومين باتوا ينفذون عمليات إطلاق النار من مسافة صفر ضد الأهداف الصهيونية، فضلاً عن أنهم لم يعودوا يترددون في تنفيذ عمليات بالقرب من مواقع عسكرية ومستوطنات تحظى بقدر كبير من التأمين والحماية؛ مما عكس قدراً كبيراً من الثقة بالنفس واستعداداً للتضحية، من منطلق أن المقاوم الذي ينفذ مثل هذه العمليات يأخذ بعين الاعتبار أن فرص

نجاته بعد تنفيذ العملية متدنية.

ومما أثار قدراً كبيراً من القلق لدى المؤسستين العسكرية والأمنية في «تل أبيب» حقيقة أن المقاومة تمكنت من تطوير قدراتها في مجال العبوات الناسفة الجانبية، بحيث تمكنت في المواجهة الأخيرة في جنين من إعطاب ٥ عربات مصفحة، منها واحدة بشكل جسيم، ويمثل هذا التطور تحدياً كبيراً أمام جيش الاحتلال، حيث إن صناعاته العسكرية تحرص على تزويد العربات العسكرية، سيما المستخدمة في مداهمة المدن والبلدات ومخيمات اللاجئين في الضفة الغربية بأقوى التحصينات المحكمة بهدف تقليص فرص تعرض الجنود للخطر.

ومما يفاقم الأمور تعقيداً حقيقة أن جيش الاحتلال يدرك أن العبوات الناسفة يمكن أن تستخدم في العمليات الهجومية وليس فقط في الدفاع عن المدن والمخيمات التي تتعرض للاقتحام، فآلاف المركبات التي يستخدمها الجنود والمستوطنون الصهاينة أثناء مرورهم في شوارع الضفة الغربية، والشوارع التي تربط مستوطنات الضفة بالكيان الصهيوني يمكن أن تصبح هدفاً لهذه العبوات؛ مما جعلها تحدياً أمنياً وعسكرياً، فضلاً عن أنه سيقلص من قدرة المستوطنين على إدارة مناشط حياتهم اليومية في أرجاء الضفة.

إلى جانب ذلك، فقد أظهرت بُنى المقاومة في شمال الضفة قدرات كبيرة في مجال قيادة الجهد الحربي وإدارته وجمع المعلومات الاستخبارية، فقد استنتج القادة العسكريون الصهاينة أن المواجهة الأخيرة في جنين اتسمت بمستوى إدارة وتحكم ممتاز، تمثل في درجة تنسيق واضحة بين جيوب المقاومة داخل المدينة ومخيمها، إلى جانب ذلك، فقد تبين أن لدى المقاومة قدرة جيدة على جمع المعلومات الاستخبارية حول تحركات قوات الاحتلال أثناء تقدمها؛ مما عزز من قدرتها على توزيع عناصرها في المناطق التي تتواجد فيها هذه القوات، مع العلم أن طلائع القوات المقتحمة تكون من قوات «المستعربين» التي يتخفى عناصرها بزي فلسطيني.

إلى جانب ذلك، فقد بدت الخلفية التنظيمية لأداء المقاومة، سواء على صعيد التصدي للقوات الاحتلال أو عبر تنفيذ عمليات إطلاق النار واضحة وجلية؛ فعلى سبيل المثال، عملية إطلاق النار التي نفذت في مستوطنة «عيلي» شمال الضفة الغربية نفذها عنصران من «كتائب الشهيد عز الدين القسام»، الذراع العسكرية لحركة «حماس»، على الرغم من أن الحركة لم تتبنَّ العملية بشكل رسمي، وتتهم الأجهزة الاستخبارية الصهيونية قيادة «حماس» في الخارج وغزة بالمسؤولية عن تحريك العمليات في الضفة الغربية.

لكن أداء المقاومة المتعاظم أفضى أيضاً إلى تحولات تستدعي من الفلسطينيين تغيير مقارباتهم الداخلية وعلى صعيد الصراع، فقد استغل الكيان الصهيوني العمليات الأخيرة وأصدر قرارات ببناء آلاف الوحدات السكنية في المستوطنات، مع العلم أن هناك مخططات سابقة لبناء ١٤ ألف وحدة سكنية، فضلاً عن أن الحكومة الصهيونية أعلنت أنها تعمل على جلب نصف مليون مستوطن جديد.

لكن أخطر أشكال الرد الصهيوني على عمليات المقاومة تمثل في الفظائع التي ارتكبها المستوطنون اليهود ضد البلدات الفلسطينية، تحديداً وسط الضفة الغربية، فقد تعرضت بلدة «ترمسعيا» للحرق من قبل المستوطنين، الذين أشعلوا النيران في المنازل والمركبات والحقول الزراعية تحت حماية جيش الاحتلال وحراسته.

إن هذا الواقع يستدعي من الفلسطينيين التوافق العاجل على برنامج وطني شامل يضمن أن تفضي عمليات المقاومة إلى مراكمة إنجازات سياسية وواقعية على الأرض.

وهذا يستدعي تحديداً من «السلطة» التخلي عن مسار التعاون الأمني مع الاحتلال فوراً، وتوافق الكل الفلسطيني على إستراتيجية مقاومة شاملة، تأخذ بعين الاعتبار تفعيل المقاومة الشعبية ذات الأسنان، التي يمكن أن تمثل تحدياً للمشروع الاستيطاني والتهويدي، فضلاً عن أن المقاومة الشعبية تحظى بشرعية دولية، حيث إن أحداً في العالم لا يمكنه الاعتراض على توجه الجماهير الفلسطينية لقطع الطرق التي يسلكها المستوطنون ومحاصرة بؤرهم الاستيطانية.

إن عمليات المقاومة الفردية والتنظيمية وأداء المقاومة في غزة وتوظيف ترسانتها الصاروخية لا يمكن أن يحل محل التوافق على برنامج وطني شامل، من منطلق أن تفعيل مثل هذا البرنامج يضمن ديمومة العمل المقاوم وتعزيز نتائجه، وفي الوقت ذلك تجفيف البيئة الداخلية والدولية التي يعمل فيها الكيان الصهيوني بشكل يفضي إلى تقليص قدرته على إرساء حقائق على الأرض، سيما على صعيد الاستيطان الهادف إلى محاولة حسم مصير الصراع.■

المؤسسة العسكرية لم تتوقع مراكمة بُنى المقاومة بالضفة ذلك القدر من القوة

«كان»: المقاومون باتوا يحرصون على الاشتباك المباشر مع القوات الصهيونية

العبوات الناسفة ستقلص قدرة المستوطنين على إدارة مناشط حياتهم بالضفة

التوافق على برنامج وطني شامل يضمن ديمومة العمل المقاوم وتعزيز نتائجه

هل بدأ الصراع بين البرهان والإسلاميين مع تراجع حميدتي.. أم تسعى قوى غربية للوقيعة بينهما؟

يوسف أحمد

بدأت وسائل إعلام معادية للإسلاميين في السودان تروّج لبوادر صراع بين البرهان والإسلاميين؛ بدعوى أنه «ليس حازماً بصورة أكبر مع قوات حميدتي»، وتشير لانتظار الإسلاميين انتصار الجيش الذي سيكون في صالح الحركة.

وقد أبلغت مصادر سودانية مقربة من الحركة الإسلامية «المجتمع» أن هناك محاولة للترويج لصراع وهمي بين الجيش والإسلاميين، من قبل أطراف أجنبية وعربية معادية للحركة الإسلامية في السودان، ضمن دعمهم حميدتي لأهداف مختلفة.

في حين، زعم موقع «يورونيوز» الأوروبي، في ٢٩ مايو ٢٠٢٣م، أن هناك بوادر صراع وشيك بين البرهان وإسلاميي السودان، وقال: إن «الإسلاميين لديهم وجود كبير في المؤسسة العسكرية، عملوا عليه منذ وصولهم إلى السلطة في انقلاب البشير عام ١٩٨٩م».

وادَّعى الموقع الأوروبي أنه منذ اندلاع الصراع بين الجيش و«قوات الدعم السريع» في السودان، يحاول الإسلاميون استغلال الوضع القائم ليضمنوا وضعاً ملائماً لهم في التسوية السياسية المستقبلية.

تزامن هذا مع زعم حسابات سودانية معادية للإسلاميين على «تويتر»، اعتقال عدد من أبرز قادة الحركة الإسلامية وجماعة الإخوان المسلمين في السودان على يد «قوات الدعم السريع»، دون تحديد أي أسماء، وهو ما لم ترد أنباء عن صحته.

وهناك موقع موالٍ لحميدتي ويعادي الإسلاميين يسمى «برق السودان»، زعم أنه تم اعتقال علي كرتي، رئيس الحركة الإسلامية، ومعه أنس عمر، والجزولي، عبر «قوات الدعم السريع».

لكن رئيس الحركة الإسلامية في السودان، و«التيار الإسلامي العريض»، علي كرتي، نفى هذا ضمناً بتغريدات على «تويتر»، هنأ فيها الرئيس التركي «أردوغان» بفوزه، ووجه رسائل لأبناء الحركة الإسلامية؛ ما ينفي صحة هذه المزاعم.

بيد أن مصادر سودانية أبلغت «المجتمع» أن «قوات الدعم السريع» اعتقلت بالفعل قرابة ٦ من أعضاء الحركة الإسلامية، أبرزهم أنس عمر، القيادي البارز بالمؤتمر الوطني السابق، ومحمد علي الجزولي، رئيس حزب العدالة، وهو إسلامي معروف.

وأوضحت أن قوات حميدتي أجبرتهم على أن يسجلوا فيديو لكل منهم يعلن فيه أن الإسلاميين يقفون خلف حرب السودان، وأنهم اتفقوا مع البرهان على إسقاط حكومة حمدوك وانقلاب ٢٥ أكتوبر ٢٠٢٢م.

وأجبرتهم، ومنهم الجزولي، للقول: إنهم (الإسلاميين) حددوا مع البرهان ساعة الصفر لهذه الحرب، بالتنسيق مع كرتي، الأمين العام للحركة الإسلامية الحالي، الذي زعم حميدتي أن الجيش يقوم بهذه الحرب بالوكالة عنه وعن الحركة الإسلامية.

> مع التراجع النسبي لـ«قوات الدعم السريع» التي يقودها الفريق محمد حمدان دقلو (حميدتي) أمام الجيش السوداني، بدأت قوى يسارية سودانية وأخرى خارجية تروج لتصاعد الصراع بين قائد الجيش عبدالفتاح البرهان والإسلاميين، وتبدي خشيتها من خروج الحركة الإسلامية منتصرة من صراع البرهان، وحميدتي.

البرهان

كرتي

حميدتي

لكن الموقع الرسمي للدكتور الجزولي، رئيس حزب دولة القانون والتنمية، أكد أنه «مختطف» من قبل «قوات الدعم السريع»، مؤكداً أن الفيديو المصور له لا يعبر عنه، وأنه محاولة لاستنطاقه بما يريده حميدتي، وهو زعم أن الحركة الإسلامية وراء الحرب الحالية بين الجيش و«الدعم السريع».

أيضاً نشرت قوات حميدتي فيديو للقيادي عمر بعد اختطافه يتضمن اعترافات كاذبة تحت التهديد، وفق المصادر، أن الحركة الإسلامية تدعم قتال الجيش ضد «قوات الدعم السريع».

وقد نشرت الحركة الإسلامية بياناً، يوم ٢٤ مايو ٢٠٢٣م، تؤكد فيه أن هذه الاعترافات جاءت تحت التهديد، وأنه تم اختطافهم، منتقدة إرهاب «قوات الدعم السريع» المتمردة، وفق البيان.

عداء حميدتي للإسلاميين

وسبق لحميدتي الزعم بأن الإسلاميين هم من أوصل البرهان إلى السلطة في أبريل ٢٠١٩م، (أي دعموا انقلابه على البشير)، وادَّعى أنه يقاتل إسلاميين راديكاليين، ووصف البرهان بأنه إسلامي متطرف!

وقد سعى حميدتي لاستدعاء الإسلاميين كمبرر للاشتباكات؛ حيث قال، في ١٩ أبريل ٢٠٢٣م: إن القتال الذي يخوضه الجيش السوداني ضد قواته يقوده الإسلاميون لاستعادة السلطة التي فقدوها.

أيضاً أعلن قائد «قوات الدعم السريع» في السودان، خلال قتاله الجيش السوداني، أنه يفعل ذلك كي يساند الديمقراطية ويحارب الإسلام الراديكالي، وأضاف: نحن نحارب الإسلاميين الراديكاليين الذين يأملون في إبقاء السودان معزولاً في الظلام، وبعيداً عن الديمقراطية!

ولم يخف الإسلاميون تأييدهم للجيش، واستعدادهم للذود عنه والقتال في صفوفه واعتباره أحد رموز سيادة البلاد.

وكان موقف الإسلاميين الأبرز في هذا الصدد قول أحمد هارون، الرئيس السابق لحزب المؤتمر الوطني، عقب هروبه من سجن كوبر، في تسجيل صوتي، تأييده للجيش السوداني، داعياً قواعد حزبه إلى الالتفاف حول القوات المسلحة.

ومرت العلاقة بين الإسلاميين والمجلس السيادي بقيادة البرهان خلال المرحلة الانتقالية بمنعطفات متعددة، أبرزها عندما شكلت حكومة عبدالله حمدوك اليسارية لجنة «إزالة التمكين»، التي هدفت إلى تفكيك نظام البشير بفصل العديد من الإسلاميين من مناصبهم.

وأصدرت اللجنة قرارات بفصل آلاف الموظفين من الخدمة المدنية والسفراء والدبلوماسيين والمستشارين القانونيين والقضاة، باعتبارهم من الإسلاميين والموالين لهم.

لكن لاحقاً حدث تحوّل واستدارة في العلاقة بين البرهان والإسلاميين قبيل انقلاب البرهان، في أكتوبر ٢٠٢١م، ضد شركائه اليساريين في الحكم «تحالف قوى الحرية والتغيير»، عندما ألغت المحكمة العليا قرارات لجنة «إزالة التمكين»، وأعادت كل الذين فصلتهم اللجنة إلى وظائفهم.

وزعمت قوى الحرية والتغيير أن هناك تحالفاً خفياً بين الطرفين (البرهان والإسلاميين) لضمان استمرار قائد الجيش في موقعه السيادي والاستقواء بالإسلاميين على معارضيه (اليساريين).

وفي ٧ نوفمبر ٢٠٢٢م، قال القيادي بالحركة الإسلامية السودانية أمين عمر، في حوار مع برنامج «المسائية» على قناة «الجزيرة مباشر»: إن عبدالفتاح البرهان يخضع للابتزاز من قبل قوى سياسية، ولذلك تبرأ من الحركة الإسلامية وحزب المؤتمر الوطني المنحل.

وأوضح عمر أن خطاب البرهان الذي حذر فيه حزب المؤتمر الوطني (الحاكم سابقاً) والحركة الإسلامية من التخفي وراء الجيش جاء في إطار نفي الشائعات والتهم التي يوجهها له الشيوعيون واليساريون، بأنه منتمٍ للحركة الإسلامية، على حد قوله.

وقال عمر: إن الحركة الإسلامية لن تكف عن إظهار دعمها للجيش كمؤسسة قومية ممسكة بالبلد، وهذا أمر ليس مستغرباً، مشيراً لسبق تسيير الحركة الإسلامية أكبر موكب بتاريخ البلاد «أمان السودان» دعماً لمؤسسة الجيش.

وأكد أن الحركة الإسلامية قاتلت مع القوات المسلحة خندقاً بخندق، يعني أننا رفقاء خنادق مع الجيش، وسنبقى ندعم المؤسسة، واصفاً تعليقات البرهان حولها بـ«كلام منابر».■

ترويج لصراع وهمي بين الجيش والإسلاميين من قبل أطراف خارجية معادية للحركة الإسلامية

الإسلاميون أعلنوا تأييدهم للجيش واستعدادهم للذود عنه واعتباره أحد رموز سيادة البلاد

«الدعم السريع» اعتقلت ٦ قادة إسلاميين وأجبرتهم على الاعتراف بوقوفهم خلف الحرب

بعد الفوز الأخير..
تحديات على أجندة الرئيس التركي

خاض الرئيس التركي «رجب طيب أردوغان» وحزب «العدالة والتنمية»، في مايو الماضي، الانتخابات الأصعب عليهما منذ عام ٢٠٠٢م، فاز «أردوغان» بولاية رئاسية جديدة في جولة الإعادة، بينما استطاع «تحالف الجمهور» الذي يقوده المحافظة على أغلبية مقاعد البرلمان، رغم التوقعات بعكس ذلك.

د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

رغم أن النتائج أثبتت تراجعاً نسبياً في رصيد الرئيس التركي «أردوغان» وحزبه العدالة والتنمية، حيث احتاج الأول لجولة إعادة للمرة الأولى، بينما تراجع تصويت الثاني بنسبة ٧% عن الانتخابات السابقة، فإن ذلك لا يحجب النتيجة التي جعلت من الرجل ظاهرة في السياسة التركية الحديثة؛ إذ فاز، مع حزبه، بكل الاستحقاقات الانتخابية التي خاضها منذ تأسيسه سواء كانت رئاسية أم تشريعية أم محلية أم استفتاءً دستورياً بعد أكثر من عقدين كاملين من الحكم المتواصل.

وعليه، جددت الانتخابات الأخيرة تفويض الشعب التركي لـ«أردوغان» ليقود البلاد ٥ سنوات إضافية، وربما أخيرة إذ هي الولاية الدستورية الأخيرة له، ووضعته أمام سلسلة من التحديات التي يحتاج أن يعالجها، بعضُها مستمر منذ ما قبل الانتخابات وبعضها الآخر استجد فيما بعدها.

تحديات مستمرة:

كان الاقتصاد التحدي الأكبر الذي واجه الحكومات التركية المتعاقبة على مدى السنوات القليلة الأخيرة، ثمة مشكلات بنيوية في الاقتصاد التركي تتعلق بحاجته للأموال الساخنة والاستثمارات الخارجية وافتقاره إلى حد ما للصناعات عالية القيمة مثل الصناعات التقنية، ثم أضيف لذلك تحديات غير محسوبة تولدت من جائحة «كورونا» وتداعياتها على الاقتصاد العالمي ولا سيما الاقتصادات النامية مثل تركيا، ثم الحرب الروسية – الأوكرانية التي ألقت بظلالها كذلك على الاقتصاد العالمي والتجارة الدولية بما

في ذلك ارتفاع أسعار الوقود بشكل ملحوظ.

وقد انتقل تأثير التداعيات الاقتصادية للشارع بشكل ملموس، حيث ارتفعت نسبة التضخم لمستويات قياسية، وارتفعت بسبب ذلك الأسعار وتراجع سعر صرف الليرة، كما أن الحكومة خالفت المستويات السياسية والاقتصادية بتبنيها نهج تخفيض سعر الفائدة وليس رفعها لمحاولة ضبط التضخم في البلاد.

ولذلك، كان الاقتصاد البند الأول على جدول الانتخابات الأخيرة، والسردية الأبرز على لسان المعارضة في مواجهة الحكومة، وهنا فعّلت الأخيرة «اقتصاد الانتخابات» بزيادة الإنفاق الحكومي وتخفيض الجباية، مثل رفع الحد الأدنى للأجور ورواتب الموظفين والمتقاعدين ومكافآت الأعياد، وإعادة جدولة الديون، وتسهيل القروض البنكية، وفتح مشاريع سكنية.

أحد أهم مؤشرات أولوية الاقتصاد بالنسبة لـ«أردوغان» كان اختيار الوزير الأسبق «محمد شيمشك» لوزارة الخزينة والمالية، الذي يتبنى فلسفة اقتصادية ليبيرالية تقليدية من جهة، ويتمتع بسمعة طيبة في الأوساط المالية العالمية من جهة أخرى؛ وعليه، فإن المتوقع عودة الحكومة لسياسة رفع الفائدة للتحكم بنسبة التضخم في المدى القريب، إضافة لإقناع المستثمرين الأجانب بضخ أموالهم في السوق التركية، ويبقى الاقتصاد التحدي الأكبر الذي يواجه الحكومة وتركيا في المدى المنظور، لا سيما والبلاد ستدخل قريباً أجواء الانتخابات البلدية.

كما كان الزلزال الكبير الذي ضرب جنوب البلاد بداية العام تحدياً غير مسبوق بكلفته البشرية التي تخطت ٥٠ ألف وفاة، وفاتورته الاقتصادية التي تجاوزت ١٠٠ مليار دولار أمريكي، وكانت التوقعات أن تؤدي الكارثة لسقوط العدالة والتنمية و«أردوغان» في الانتخابات الماضية، لكن حصل العكس بحصول «أردوغان» على نسب غير مسبوقة في المناطق المتضررة من الزلزال، والسبب الرئيس في ذلك أن الحكومة أثبتت فعاليتها في عملية الإغاثة وإعادة الإعمار، بعد إلقاء اللوم عليها في الأيام الأولى للزلزال، فضلاً عن وعد «أردوغان» بإتمام عملية إعادة الإعمار خلال عام واحد فقط.

إضافة لذلك، يبقى ملف السوريين والأجانب عموماً في البلاد تحدياً ماثلاً، خصوصاً مع تبني المعارضة التقليدية خطاباً يركز على ترحيل السوريين، وتبني بعض التيارات والأحزاب العنصرية الأمر بشكل شبه حصري؛ ولذلك من المتوقع أن تستمر الحكومة في برنامج عودة/إعادة مليون سوري للشمال، جنباً إلى جنب مع عملية ضبط وتأطير الوجود الأجنبي في البلاد.

الاقتصاد وتوابع الزلزال والسوريون والسياسة الخارجية.. أبرز التحديات القديمة

على «أردوغان» إعادة هيكلة الهيئات القيادية بحزبه بما يتناغم مع المتغيرات

«أردوغان» وتحالفه لا يمتلكان الأغلبية البرلمانية الكافية لكتابة دستور جديد

كما أن السياسة الخارجية في العموم ستبقى تحدياً قائماً في ظل الحرب الروسية – الأوكرانية، وضغوط الولايات المتحدة وحلف «الناتو» على تركيا لاتخاذ موقف أكثر انحيازاً ضد موسكو، وهو الأمر الذي تقاومه أنقرة ولا يتوقع أن تعود عنه وفق المعطيات الحالية.

تحديات مستجدة:

من جهة أخرى، افتتحت الانتخابات الأخيرة مرحلة جديدة لها تحدياتها الخاصة المستجدة على الساحة السياسية التركية.

أول هذه التحديات الانتخابات البلدية المزمع تنظيمها في مارس المقبل، التي بدأ الإعداد لها منذ اللحظة الأولى لإعلان نتائج الانتخابات الرئاسية والتشريعية الأخيرة.

وعلى هامش الانتخابات، سيكون على «أردوغان» إعادة هيكلة الهيئات القيادية في حزبه كما يفعل بعد كل انتخابات، بما يتناغم مع المتغيرات في الحكومة ومؤسسة الرئاسة من جهة، ويعطي رسالة من التجديد والتغيير للشارع تجاوباً مع نتائج الانتخابات من جهة ثانية، ويُعِدُّ الحزب للانتخابات التي تليها (المحلية في هذه الحالة) من جهة ثالثة.

ويبقى السعي لصياغة دستور جديد للبلاد حلماً يراود الرئيس التركي، حيث خضع الدستور الحالي، الذي صاغته المجموعة العسكرية التي نفذت انقلاب عام ١٩٨٠م، لما يقرب من ٢٠ تعديلاً دستورياً دون أن تحل كامل مشكلاته، وقد حاول العدالة والتنمية سابقاً مع باقي الأحزاب كتابة دستور مدني لكن التوافق لم يكن ممكناً في حينها، اليوم، وفي ولايته الرئاسية الأخيرة جدد «أردوغان» وعده ونيّته كتابة دستور مدني يليق بمئوية تأسيس الجمهورية، لن تكون المهمة سهلة، فتحالفه لا يملك الأغلبية البرلمانية التي تمكنه من ذلك، لكنه سيسعى للحصول على دعم بعض أطراف المعارضة في هذا المسعى.

وأخيراً، ثمة تحدٍّ لا يُتحدث عنه كثيراً في أوساط الحزب والحكومة، وهو مسألة خلافة «أردوغان» في الرئاسة على أقل تقدير وربما في الحزب والرئاسة من باب أنها العهدة الرئاسية الأخيرة له دستورياً، ليس هناك ترتيب رسمي ومعلن للأمر، لكن بعض المؤشرات تقول: إن الموضوع قد يكون على جدول أعمال «أردوغان» في الفترة المقبلة، كثيرون رأوا أن تغييب بعض الشخصيات القوية من الحكومة مثل وزير الداخلية «سليمان صويلو»، والدفاع «خلوصي أكار»، مقابل تولية رئيس جهاز الاستخبارات «حاقان فيدان» وزارة الخارجية إشارة في هذا الإطار.

بيد أنه ما زال من الباكر جداً الجزم باتجاهات تفكير الرجل ومآلات الملف، إذ ما زال هناك ٥ سنوات كاملة حتى انتهاء الفترة الدستورية الحالية، وهي مدة طويلة جداً بالنظر للمتغيرات والتطورات المتسارعة في تركيا، فضلاً عن عوامل أخرى كثيرة لها أثرها على الملف لا يمكن الجزم باتجاهاتها منذ الآن.■

سميـــة الغنوشـــي لـ«المجتمـــع»:

والـدي بخيـــر ويدعـــو للثبـــات على النهج السلمي في مقاومة الانقلاب

تأتي الذكرى الثانية والأربعون على تأسيس حركة النهضة التونسية في أجواء عصيبة يعيشها أعضاء الحركة من موقع المعارضة، وقد تعرض الكثيرون منهم للاعتقال وعلى رأسهم مؤسسها الشيخ راشد الغنوشي الذي قارب التسعين عاماً، وما زال يناضل من أجل الإصلاح والنهضة المرجوة.

وقد أرسل الغنوشي، في هذه الذكرى، رسالة من محبسه للتونسيين وأعضاء حركة النهضة، وفي هذا الصدد أجرت «المجتمع» هذا الحوار مع سمية، نجلة الشيخ راشد الغنوشي، لنقف أكثر على تفاصيل الحدث ومستجداته وما تحمله الأيام القادمة.

حوار – محمد هاشم:

• تتطلع الجماهير العربية وخاصة أبناء «الربيع العربي» للاطمئنان على الحالة الصحية للشيخ راشد الغنوشي في معتقله، هل من أخبار في هذا الصدد؟

– هو بخير والحمد لله، رغم تقدمه في السن، فإنه يتحدى سجانيه بصبره وثباته، يقضي أوقاته بين العبادة والذكر والقراءة، والدي خبر السجن في شبابه وكهولته وهو يعود إليه اليوم في مطلع عقده التسعين.

وقد أرسل رسالة من سجنه تضمنت العديد من المضامين التي تتعلق بالقضية الوطنية التونسية، وتوصيات بالتزام الصبر والهدوء والحكمة في التعامل مع الأحداث.

• ما أهم هذه المضامين التي حوتها الرسالة؟

– هذه المضامين موجهة لمناضلي حركة النهضة بمناسبة الذكرى الـ٤٢ لتأسيسها، تتضمن دعوة للثبات على المنهج السلمي المدني في مقاومة الانقلاب، أما على المستوى الرسمي فلا يتوقع شيئاً من الرئيس قيس سعيد غير المضي في خيار القمع وفتح السجون أمام المعارضين؛ لأنه مهووس بالسلطة مغتر بها، غير عابئ بمشكلات البلاد، منكب على المحاكمات

والدي لا يتوقع من الرئيس غير المضي في القمع لأنه مهووس بالسلطة مغتر بها

السياسية والملاحقات البوليسية، أما على المستوى الشعبي فقد أدرك الكثيرون المكانة الفكرية والسياسية التي يحظى بها الغنوشي، ونزاهته الأخلاقية؛ بما يرفع منسوب التعاطف والثقة فيه يوماً بعد آخر، مقابل انعدام الثقة في الانقلاب والانقلابيين.

• ما تعليقكم على طبيعة التهم الموجهة للغنوشي، وتعامل قوات الأمن معه، ودور القضاء في تحقيق العدالة بهذه القضية؟

– التهم الموجهة للغنوشي سخيفة في حقيقة الأمر، تدور كلها حول التآمر على أمن الدولة، ومحاولة تغيير هيئة النظام والتحريض على العنف، والغريب أن تصدر هذه التهم عن رجل غيَّر واقعياً هيئة الدولة بنصب الدبابات أمام

العدالة معطلة بعدما سطا سعيّد على السلطة بالقوة المسلحة وحل مجلس القضاء

الحركة السياسية تشهد نوعاً من الاستفاقة والتوحد بعدما أدرك الجميع حجم التهديد

شعوب الثورات العربية محبطة من عودة سياسات القمع وستأتي لحظة الانفجار

مجلس نواب الشعب وحل المؤسسات وتمزيق الدستور الذي أقسم على احترامه، وبرع في التحريض وبث لغة الكراهية والعنف، عبر نعت معارضيه بالجراثيم والسرطانات والشياطين والمخمورين والخونة والمتآمرين، وغيرها من الشتائم التي يتفنن في إطلاقها يمنة ويسرة.

للأسف، العدالة اليوم معطلة بصورة كاملة بعدما سطا سعيد على السلطة بالقوة المسلحة وحل المجلس الأعلى للقضاء المنتخب وعوضه بمجلس منصب على مقاسه، وعزل ٥٧ قاضياً بجرة قلم، ثم توعد القضاة مزمجراً: «من لم يحكم ضدهم فهو شريك لهم»، القضاة اليوم يقعون تحت سيف التهديد والوعيد بعدما حولهم سعيد إلى مجرد وظيفة تابعة، على حد تعبيره، وما عادوا يشكلون سلطة مستقلة تسهر على تحقيق العدل والإنصاف.

• ما تأثير اعتقال الغنوشي على الحركة السياسية التونسية؟

– طبعاً، الشيخ الغنوشي له موقع متقدم في الساحة السياسية رغم كل ما تعرض له من تحريض واستهداف، لكن الحركة السياسية التونسية تشهد نوعاً من الاستفاقة والتوحد في مواجهة الانقلاب، بعدما أدرك الجميع حجم التهديد، مع توسع الاعتقالات، بما يوجه رسالة أن المستهدف من موجة القمع لم يكن الغنوشي أو «النهضة» فحسب، بل كل القوى السياسية وكل من يرفع صوته ضد الانقلاب والانقلابيين.

• كيف تقبلت أسرتكم نبأ اعتقال الغنوشي؟ وما المسارات الرسمية القانونية والشعبية التي تحركتم فيها لخلخلة المشهد؟

– الأسرة، كما هو شأن الشيخ الغنوشي، كانت تتوقع الاعتقال في أي وقت وحين، فمن أقدم على إلغاء الدستور وكتابة آخر بنفسه، وتجرأ على حل كل المؤسسات لن يتورع عن الزج بمعارضيه في السجن، بحمد الله الأسرة صامدة، وعلى رأسها والدتي أدامها الله، المرأة العظيمة الفاضلة التي كانت دائماً خير سند لوالدي في كل ما مر به من محن وشدائد عبر السنين، منذ كانت في عنفوان شبابها تزوره في سجنه زمن بورقيبة تشد من أزره وتخلفه خيراً في أبنائه، وهي من أهم مكامن قوة والدي وثباته.

• هل ترون ضغط الرأي العام العالمي من الممكن أن يؤثر في تغيير المشهد؟ وهل التحركات الحالية معبرة عن غضب الشعوب وخاصة أبناء «الربيع العربي»؟

– نعم رأينا تعاطفاً كبيراً من القوى المناصرة للحرية والعدالة في مختلف عواصم الغرب والشرق، حيث صدرت عشرات البيانات تطالب بإطلاق سراح الشيخ الغنوشي والمعتقلين السياسيين، ومن ذلك بيان صادر عما يزيد على مائتي شخصية أكاديمية وفكرية من الغربيين، وآخر صادر عن شخصيات قومية عربية، وعن علماء المسلمين، وغيرهم.

نعم شعوب الثورات العربية محبطة وغاضبة من عودة سياسات القمع وتكميم الأفواه في أنظمة باتت أشد بطشاً وعنفاً وأكثر تخلفاً من تلك التي ثارت عليها سابقاً، لكن عوامل النقمة تتراكم وستأتي اللحظة المناسبة التي تنفجر فيها الشعوب في مواجهة الطغاة الجدد.

• ما تعليقكم على بيان ٣٠٠ من كبار علماء الأمة يمثلون ٣٠ دولة طالبوا بإطلاق سراح الغنوشي؟

– بيان مهم يعبر عن تضامن قادة الأمة ووجهائها مع الشيخ الغنوشي، بما يدل على المكانة العلمية والفكرية التي يحظى بها في قلوب المسلمين وعلمائهم، كيف لا وهو الذي سخر حياته للدفاع عن مشروع نهوض الإسلام وعزته في إطار الحرية والديمقراطية، وهذا المشروع كسب له جمهوراً من المثقفين والأكاديميين والحركيين المسلمين في كل مكان من العالم الإسلامي وخارجه.

• هل ترون أن الحكومة التونسية والرئيس سعيد قد تدخلا لاعتقال الغنوشي؟ وما السبب في ذلك؟

– كل ما يجري في تونس يحدث بأوامر وتعليمات من سعيد الذي وضع كل السلطات بين يديه، وهو الذي يتحكم اليوم في القضاء بالوعد والوعيد، والقاضي الذي لا يخضع لأوامره يقابل بالطرد وحتى السجن، ومع ذلك ما زال قطاع واسع من القضاة الأشاوس يقاوم هذا المشروع السلطوي الجديد الذي يسير بتونس نحو الخراب والدمار.

• ما توقعكم لسيناريوهات الخروج من هذا المشهد المربك؟

– لا خروج من هذا المشهد الكالح إلا بسقوط الانقلاب وكل ما بني عليه، والعودة لإطار الدستور والشرعية وحكم المؤسسات، خاصة بعدما قاطع الشعب التونسي برلمان سعيد وخارطة طريقه، بما يدل على أنه صار فاقداً للشرعية والمشروعية التي يدعيها، وسيندحر مشروعه الفوضوي عاجلاً أو آجلاً بحول الله، وتستعيد تونس ثورتها وحريتها ومكاسبها السياسية التي دمرها هذا الانقلاب البائس.■

«إسرائيل».. كيان بلا مستقبل

ناصر حمدادوش
برلماني جزائري سابق

أجرى الإعلامي البارز أحمد منصور حواراً تاريخياً عام ١٩٩٩م مع الشهيد أحمد ياسين (١٩٣٦ – ٢٠٠٤م)، وكان من أبرز استشرافاته التي استشفّها من القرآن الكريم هي نبوءة زوال «إسرائيل» في حدود عام ٢٠٢٧م، وكان مرجعه القرآني في ذلك ما كتبه الله على بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٦)، وهي الآية التي تقرّر سُنّة اجتماعية ثابتة في تغيُّر الأجيال، التي حدد التقدير الإلهي عمر هذا التغيير بـ٤٠ سنة، فكانت الـ٤٠ سنة الأولى من سنة ١٩٤٨م إلى اندلاع الانتفاضة عام ١٩٨٧م هي عُمْر جيل الهزيمة، ثم الـ٤٠ سنة الثانية إلى حدود عام ٢٠٢٧م هي عُمْر جيل الاستعداد والتطوُّر النّوعي للمقاومة، ثم يكون بعد ذلك عُمْر جيل النصر المنشود، وتحرير كل فلسطين من البحر إلى النهر.

أثارت هذه الاستشرافات القرآنية ردود فعل ساخطة من الصهاينة العرب الذين حرّكتهم الآلة الصهيونية الإعلامية العالمية، وأنّ هذه النُبوءة غارقة في الأحلام الرّغائبية التي تتصادم مع حقائق

الشك بزوال الكيان شعور يضرب بجذوره في عمق الوجدان الصهيوني منذ تأسيسه

ميزان القوة في الواقع.

إلا أنّ صدى هذا اليقين بقي يتردّد في أسماع المهتمين، وأنّ الأبحاث العلمية والاستقراءات الواقعية والشهادات التاريخية بدأت تأخذ طريقها إلى العلنية والرسمية بسنوات قليلة جداً، وذلك بطرح التشكيك الفعلي في المستقبل الوجودي للكيان الصهيوني، ففي العام ٢٠٠٢م، طلعت علينا أشهر المجلات السياسية الأمريكية؛ وهي مجلة «نيوزويك»، تتحدث أن الدراسات واللقاءات التي أجرتها مع الكثير من المؤرخين «الإسرائيليين» وغيرهم تثبت بأن «إسرائيل» دولة بلا مستقبل.

وفي عام ٢٠٠٣م، استضاف منصور الحاخام اليهودي «ديفيد وايس» في برنامجه «بلا حدود»، وهو الناطق الرسمي لجماعة «ناطوري كارتا» التي تأسست عام ١٩٣٥م (أي قبل قيام «إسرائيل» عام ١٩٤٨م)، ومقرها الرئيس في نيويورك، التي ينتمي إليها حوالي مليون يهودي، ومن أهم أهداف تأسيسها عدم قيام دولة لـ«إسرائيل»؛ لأنها دولة ضد الرب الذي قضى على اليهود في التوراة بالشتات في الأرض، وهي الحقيقة الدينية والتاريخية التي نطق بها القرآن الكريم كذلك في قوله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً﴾ (الأعراف: ١٦٨).

وقد أحدثت تصريحات هذا الحاخام اليهودي ضجة كبيرة وتسببت في زلزال معرفي مدوٍّ، وخاصة أنها صدرت من داخل الحقل المعرفي اليهودي، الذي تختبئ «إسرائيل» في تأسيسها وفي شرعية وجودها على أساطيرها الدينية.

لم يكن الشيخ ياسين برؤيته الإسلامية، ولا الحاخام «وايس» برؤيته اليهودية وحدها من بشرت بحتمية زوال «إسرائيل»، وأنه كيان بلا مستقبل، فقد سبق للدكتور عبدالوهاب المسيري تناول هذا الموضوع في كتابه «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، الذي أنفق عليه ٢٠ عاماً من عمره، فقد تحدث كذلك عن مستقبل «إسرائيل» وفق الدراسات العلمية التطبيقية، إذ إن هذا الكيان لديه وجود وظيفي غربي، وقد تم التأسيس له على خلفيات دينية، فقد وجدت الصهيونية العلمانية في البُعد الديني الفرصة في إغراء اليهود في العالم بالهجرة إلى فلسطين، واشتقاق الحق السياسي والتاريخي من الحق الديني، وذلك عبر الصناعة السردية اليهودية لهذا التاريخ المحرّف، وهي نفسها الأساطير المسيحية الإنجيلية المسيطرة على السياسة الخارجية الأمريكية، التي

«الحرب الأهلية» الأكثر شيوعاً بالخطاب الصهيوني وسط نيران الصراعات الداخلية

الاستشرافات القرآنية لاقت ردود فعلٍ ساخطة من الصهاينة العرب

تربط العودة الثانية للمسيح بقيام الدولة اليهودية وعاصمتها القدس الموحّدة.

وقد سبق للكونجرس الأمريكي، في ٢٤ أكتوبر ١٩٩٥م، أن قرّر بأن القدس هي العاصمة الأبدية والموحّدة لـ«إسرائيل»، لأنها كما يقول: الوطن الروحي لليهودية، ومع ذلك فإن الدراسات الإستراتيجية تثبت تراجع الحاجة الغربية إلى هذا الكيان في المستقبل، كما تتراجع الحاجة إلى النفط العربي، وبالتالي فإنه سينقطع «حبل الناس» عنه.

لقد كان الخطاب المفعم بالعنصرية الدينية هو ما أعلنه «بن غوريون»، أول رئيس وزراء «إسرائيلي» عام ١٩٤٨م في الأمم المتحدة، عندما تبجّح بهذه الأسطورة القبيحة، حين قال: «قد لا تكون فلسطين لنا بالحق السياسي أو القانوني، ولكنها حق لنا على أساس ديني، فهي الأرض التي وعدَنا اللهُ بها، وأعطانا إيّاها من الفرات إلى النيل»!

إلا أن هاجس الشك بنهاية هذا الكيان السرطاني ليس مجرد أمنية رغائبية لأعدائه، بل هو شعور يضرب بجذوره في عمق الوجدان الصهيوني، فهو هاجس مركزي متأصل صهيونياً منذ البدايات الأولى لهذا الكيان، وقد قال «بن غوريون» نفسه: «ستسقط إسرائيل بعد أول هزيمة تتلقاها»، فالقلق من زوال «إسرائيل» هو يهودي ذاتي بامتياز، قد تأسس على حالة الشك في مستقبلها كدولة يهودية.

ولا نبالغ إذا قلنا: إن مصطلح «الحرب الأهلية» هو الأكثر شيوعاً في الخطاب الصهيوني الآن، بعد أن تأججت نيران الصراعات الداخلية بين «الدولة العميقة» العلمانية و«التيار الدّيني المتصاعد» المسيطر على الحكم اليوم.

فيقول الرئيس السابق لجهاز المخابرات الداخلية (الشاباك)، في أكتوبر الماضي، في مقال له بصحيفة

٣ قوى لتدمير الكيان الصهيوني: اليد الإلهية.. الهدم الذاتي.. تطوُّر المقاومة

«يديعوت أحرونوت» العبرية، بعنوان «على شَفا حرب أهلية»، ووصف «نتنياهو»، في ٢٧ مارس ٢٠٢٣م، قرار تأجيل تلك الإصلاحات القضائية بأنه «فرصة لتجنب حرب أهلية»، كما عبّر وزير الدفاع السابق «بيني غانتس» عن خشيته من اندلاع حرب أهلية تؤدي إلى تفكُّك «إسرائيل» من الداخل، وهو التدمير الذاتي الذي دفع بهم إلى دق ناقوس الخطر الوجودي، فهذا الرئيس الصّهيوني «هرتسوغ» يقول: «ما يحدث كارثة حقيقية، وبلادنا تنهار أمام عينيّ»، ويضيف: «الوضع يتّجه إلى نقطة اللاعودة، و«إسرائيل» تمر بأزمة تاريخية تهدد بتدميرها من الداخل».

ويقول «نفتالي بينت»، رئيس الحكومة الصهيونية السابق، في يونيو ٢٠٢٢م: «علينا أن نتذكر كيف تفككت دولتنا في التاريخ القديم قبل ٢٠٠٠ عام مرتين، بسبب الصراعات الداخلية؛ الأولى عندما كان عمرها ٨٠ عاماً، والثانية عندما كان عمرها ٧٧ عاماً، ونحن الآن نقترب من العقد الثامن، ونقف جميعاً أمام اختبار حقيقي، فهل نتمكن من الحفاظ على دولتنا؟»..

لقد أثبتت الحقيقة القرآنية بأن عوامل التدمير اليهودي تتحالف فيه ٣ قوى؛ وهي من ستحسم مستقبل الكيان الصُهيوني، وذلك استناداً إلى قوله تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾(الحشر: ٢)، وتتمثل هذه القوى في:

١- اليد الإلهية التي تعمل في الخفاء: وذلك لقوة الاعتقاد في الله تعالى بأنه هو المسيّر والمدبّر لهذا الكون، وأنه لا توجد أي قوة تعجزه في هذا الوجود، وأن حجم الظلم والطغيان الذي بلغه هذا الكيان الصهيوني سيعجّل بنهايته.

٢- التدمير الصهيوني الذاتي: فقد قام هذا الكيان على هجرة يهود العالم إليه، وهو الآن يشهد هجرة عكسية لعدة أسباب واعتبارات، وأنه يعاني أزمة ديمغرافية مفضوحة مقارنة مع النمو الديمغرافي الفلسطيني، وأنه يعيش حالة من الصراعات والتدمير الذاتي الداخلي، وقد قال الله تعالى عنهم: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: ٦٤).

٣- التطوُّر النوعي للمقاومة: فقد كسبت المقاومة الفلسطينية معركة العقول والإرادات، وتمكنت من التقنية والتكنولوجيا في الصناعة الحربية، ومنها صناعة الصواريخ والطائرات بدون طيار، فتملك منها مخزوناً هائلاً، التي يصل مداها إلى أكثر من ٢٥٠ كلم، وهو ما يمثل تهديداً إستراتيجياً لمنظومة الردع الصهيونية، ويضع ٥ ملايين صهيوني تحت دائرة الاستهداف، وهو ما خلق حالة من الردع وتوازناً في الرعب، ويهدد المستقبل الوجودي لهذا الكيان.■

معالم الإصلاح والتجديد في تجربة نور الدين زنكي (3)

العدل أساس الملك

د. علي محمد الصلابي
داعية متخصص في التاريخ الإسلامي

إنَّ من أهداف الحكم الإسلامي الحرصَ على إقامة قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم، ومن أهم هذه القواعد العدل، قال الله تعالى:﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)، وأمرُ الله بفعلٍ، كما هو معلوم، يقتضي وجوبه، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: ٥٨)، وقال سبحانه:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ (النساء: ١٣٥).

لقد سجَّل التاريخ أن نور الدين محمود زنكي ساد العدل في دولته، وتمَّ إيصال حقوق الناس إليهم، فنشطوا في الجهاد، والدفاع عن دينهم، وعقيدتهم، وأوطانهم، وأعراضهم، ومن أبرز أعماله الإصلاحية والتجديدية إقامته للعدل في دولته. (دروس وتأملات في الحروب الصليبية، ص ٢٠٥).

وقد أولى نور الدين المؤسسة القضائية اهتماماً كبيراً، وجعلها في قمة أجهزته الإدارية، وخوَّل القضاة على اختلاف درجاتهم في سلَّم المناصب القضائية صلاحيات واسعة -إن لم نقل مطلقة- ومنحهم استقلالاً تاماً، لكونهم الأداة التنفيذية لإقرار مبادئ الحق والعدل، وتحويل قيم الشريعة ومبادئها إلى واقع ملتزم، وتوِّجت جهوده بإنشاء دار العدل، التي كانت بمثابة محكمة عليا لمحاسبة كبار الموظفين، وإرغامهم على سلوك المحجة البيضاء، أو طردهم واستبدالهم إن اقتضى الأمر. (نور الدين محمود الرجل والتجربة، ص ٧٥).

وكان شعاره ما أكده لأصحابه مراراً: «حرامٌ على كلِّ من صحبني ألا يرفع إليَّ قصة مظلوم لا يستطيع الوصول إليَّ»، ويحكي خادمه شاذبخت الطواشي الهندي -كان أحد نوابه في حلب- هذه الحادثة، ذات الدلالة الواضحة في هذا المجال يقول: «كنت يوماً أنا ورجلٌ واقفين على رأس نور الدين، وقد صلى المغرب، وجلس، وهو يفكِّرُ فكراً عظيماً، وجعل ينكش بإصبعه الأرض، فعجبنا من فكره، وقلنا: في أي شيء يفكر؟ في عائلته؟ أو في وفاء دينه؟ وكأنه فَطِنَ بنا، فرفع رأسه، وقال: ما تقولان؟ فأجبناه بعد تردُّد، فقال: والله إني أفكر في والٍ وليته أمور المسلمين، فلم يعدل فيهم، أو فيمن يظلم المسلمين من أصحابي، وأعواني، وأخاف المطالبة بذلك أمام الله، فبالله عليكم.. وإلا فخبزي عليكم حرام، لا تريان قصة مظلوم لا ترفع إليَّ، أو تعلمان مظلمة إلا وأعلماني بها، وارفعاها إليَّ». (الكواكب لابن قاضي شهبة، ص ٢٥، نور الدين محمود، ص ٧٥).

إجراءاته القضائية والعدلية:

١- دار العدل أو المحكمة العليا: كانت قمة إجراءاته القضائية إنشاءه داراً في دمشق، لكشف المظالم سمَّاها «دار العدل»، وكانت أشبه بمحكمة عليا لمحاسبة كبار الموظفين، ثم عُمِّمَتْ صلاحياتها، فامتدت أقضيتها إلى سائر أبناء الأمة، وقد جاء إنشاؤها بسبب تزايد عدد من كبار الأمراء في دمشق، وبخاصة أسد الدين شيركوه، وتماديهم في اقتناء الأملاك، وتجاوز

أبرز أعماله الإصلاحية إقامته للعدل وأولى المؤسسة القضائية اهتماماً كبيراً

أنشأ «دار العدل» بدمشق لكشف المظالم ومحكمة عليا لمحاسبة كبار الموظفين

لم يكن يصدر العقوبة على الظنة بل يطلب الشهود فإن قامت البيّنة عاقب بعدل

بعضهم حقوق البعض الآخر، فكثرت الشكوى إلى قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري، فأنصف بعضهم من بعض، لكنه لم يقدر على الإنصاف من شيركوه، فأنهى الحال إلى نور الدين، فأصدر أمره حينئذٍ ببناء دار العدل. (نور الدين محمود الرجل والتجربة، ص ٧٦).

٢- استجابته للقضاء: طُلِبَ مرة من قبل أحد المدعين، فما كان من أحد كبار موظفيه إلا أن دخل عليه ضاحكاً، وقال مستهزئاً: يقوم المولى إلى مجلس الحكم، فأنكر نور الدين على الرجل سخريته، وقال: تستهزئ لطلبي إلى مجلس الحكم؟ وأردف: يُحْضَرُ فرسي؛ حتى نركب إليه، السمع والطاعة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ (النور: ٥١).

ثم نهض، وركب؛ حتى دخل باب المدينة، واستدعى أحد أصحابه وقال له: امضِ إلى القاضي، وسلِّم عليه، وقل له: إني جئت هاهنا امتثالاً لأمر الشرع. (الباهر، ص ١٦٦ - ١٦٧).

٣- لا عقوبة على الظنة والتهمة: لم يكن نور الدين يصدر العقوبة على الظنة والتهمة، بل يطلب الشهود على المتهم، فإن قامت عليه البينة الشرعية؛ عاقبه العقوبة العادلة من غير تعدٍّ، فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر ما يوجد في غير ولايته مع شدة السياسة، والمبالغة في العقوبة، والأخذ بالظنة، وأمنت بلاده مع سعتها، وقلَّ المفسدون ببركة العدل، واتِّباع الشرع المطهر. (نور الدين محمود الرجل والتجربة، ص ٨٠).

٤- من عدله بعد موته: ومن عدله أيضاً بعد موته، وهو من أعجب ما يحكى: «أنَّ إنساناً كان بدمشق، استوطنها، وأقام بها لما رأى من عدل نور الدين، رحمه الله، فلّما توفي تعدَّى بعض الجنود على هذا الرجل فشكاه، فلم يُنصف، فنزل من القلعة وهو يستغيث، ويبكي، وقد شق ثوبه وهو يقول: يا نور الدين، لو رأيتنا وما نحن فيه من الظلم؛ لرحمتنا، أين عدلك؟ وقصد تربة نور الدين، ومعه من الخلق ما لا يحصى وكلّهم يبكي، ويصيح، فوصل الخبر إلى صلاح الدين، وقيل له: احفظ البلد والرعية وإلا خرج عن يدك، فأرسل إلى ذلك -وهو عند تربة نور الدين يبكي والناس معه- فطيّب قلبه، ووهبه شيئاً، وأنصفه، فبكى أشد من الأول، فقال له صلاح الدين: لِمَ تبكي؟ قال: أبكي على سلطان عدلٍ فينا بعد موته، فقال صلاح الدين: هذا هو الحق، وكل ما نحن فيه من عدل فمنه تعلَّمناه».

٥- رقبتي دقيقة لا أطيق حملها والمخاصمة عليها بين يدي الله تعالى: قال ابن الأثير: «وحكى لي من أثق به: أنَّه دخل يوماً إلى خزانة المال، فرأى فيها مالاً أنكره، فسأله عنه: فقيل: إن القاضي كمال الدين أرسله، وهو من جهة كذا، فقال: إن هذا المال ليس لنا، ولا لبيت المال في هذه الجهة شيء، وأمر برده وإعادته إلى كمال الدين، فردَّه إلى الخزانة، وقال: إذا سألكم الملك العادل عنه؛ فقولوا له عنِّي: إنه له، فدخل نور الدين الخزانة مرّة أخرى، فرآه، فأنكر على النُّواب قال: ألم أقل لكم يعاد هذا المال إلى أصحابه، فذكروا له قول كمال الدين، فردَّه إليه وقال للرسول: قل لكمال الدين: أنت تقدر على حمل هذا المال، وأما أنا فرقبتي دقيقة لا أطيق حملها، والمخاصمة عليها بين يدي الله تعالى! يُعاد قولاً واحداً». (عيون الروضتين، ١ / ٣٦٤).■

الزيادة في البيع والزيادة في الربا.. رؤية اقتصادية تحليلية

د. أشرف دوابه
أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

البيع والربا جمعتهما آية واحدة في كتاب الله تعالى، ولكن شتان بينهما، فالبيع أحله الله، والربا حرمه: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة: ٢٧٥)، وقد احتج المشركون في تسويغ الربا بأن الكسب فيه كالكسب في البيع، فكما أن الرجل يبيع ويشتري فيكتسب من فروق الثمن في البيع والشراء، فكذلك يدفع لغيره المال، فيبيع ويشتري فيكتسب أو يشاركه في الكسب، وإن لم يتعرض للخسارة، ومن جهة ثانية؛ فإن الربا كالبيع من حيث إنه يبيع مؤجلاً بثمن وحالاً بثمن، فكذلك يجوز له أن يقبض الدَّين بعد الأجل أكثر مما أدى.

إن قياس المرابين من أهل الشرك والنفاق البيع الحلال على الربا الحرام هو انتكاس للفطرة الإنسانية، فالمنطق يقتضي أن يقولوا: إنما الربا مثل البيع، مع أنه شتان ما بين الربا والبيع، وواضح أن البيع المراد هنا هو البيع بثمن مؤجل، ولكنه التخبط الذي لم يسلم منه لسانهم، زاعمين أنه إن كان الربا محرماً فليكن البيع محرماً، وإن كان البيع حلالاً فإن الربا حلال، فإذا منعتم ربح القرض فامنعوا كذلك كل ربح من البيع فهما سواء، وهم بذلك يريدون قياساً إما بالطرد أو بالعكس، فكان القول الفاصل الحاسم من الله تعالى بإباحة البيع الحاضر والمؤجل، فعمم سبحانه في الحل، وخصص وعيّن في التحريم، فأصبح الذي أحلَّه أكثر مما حرمه.

إن البيع يحصل في حالة وجود الأجل وعدمه، بينما الربا الأجل هو سر وجوده، فمنفعة الربا لا قوام لها إلا بالأجل، ولا علاقة لها بتحقيق قيمة مضافة تعكس تكلفة الأجل كما في البيع، وللأسف نجد هذا المنطق المقلوب ممن يرددون في عصرنا الحاضر بأنه لا فرق بين بيع المرابحة للآمر بالشراء في البنوك الإسلامية والقرض بفائدة في البنوك التقليدية، ويتخذ بعضهم من ارتفاع عائد المرابحة في بعض البنوك الإسلامية عن سعر الفائدة في البنوك التقليدية مبرراً لذلك.

إن الزيادة في الربا زيادة فعلية بدون عوض، والزيادة في البيع لا يمكن القول

بها، فالبيع معاوضة بين شيئين يتم فيها دفع عوض أو ثمن وأخذ معوض أو مثمن حيث يختلف العينان، فالزيادة هنا غير معتبرة ولا يمكن القول بها بين العوضين لاختلافهما، بينما العوض في الربا من نفس الجنس مع زيادة في الدين لا يقابلها شيء لأجل التأخير في الأجل، فلا معاوضة حقيقية فيها ولا مقابل لها فهي ظلم وباطل.

وفي هذا يقول ابن العربي المالكي: «الربا في اللغة هو الزيادة، ولا بد في الزيادة من مزيد عليه تظهر الزيادة به، فحرم الله تعالى الربا، وهو الزيادة؛ ولكن لما كانت الزيادة لا تظهر إلا على مزيد عليه، ومتى قابل الشيء غير جنسه في المعاملة لم تظهر الزيادة، وإذا قابل جنسه لم تظهر الزيادة أيضاً إلا بإظهار الشرع».

ويضرب القفال مثلاً عملياً لبيان الفرق بين البيع والربا فيقول: «من باع ثوباً يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابَلاً بالعشرين، فلما حصل التراضي على هذا التقابل صارت العشرون عوضاً للثوب في المالية فلم يأخذ البائع من المشتري شيئاً بدون عوض، أما إذا أقرضه عشرة بعشرين فقد أخذ المقرض العشرة الزائدة من غير عوض، ولا يقال: إنّ الزائد عوض الإمهال؛ لأنّ الإمهال ليس مالاً أو شيئاً يشار إليه حتى يجعله عوضاً عن العشرة الزائدة».

ويضيف الفخر الرازي: «إن الربا يقتضي أخذ مال الإنسان من غير عوض؛

المالكي: الربا في اللغة الزيادة ولا بد في الزيادة من مزيد عليه تظهر الزيادة به فحرم الله بذلك الربا

لأن من يبيع الدرهم بالدرهمين نقداً أو نسيئة فيحصل له زيادة درهم من غير عوض، ومال الإنسان متعلق حاجته وله حرمة عظيمة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «حرمة مال الإنسان كحرمة دمه»، فوجب أن يكون أخذ ماله من غير عوض محرماً.

فإن قيل: لِمَ لا يجوز أن يكون لبقاء رأس المال في يده مدة مديدة عوضاً عن الدرهم الزائد، وذلك لأن رأس المال لو بقي في يده هذه المدة لكان يمكن المالك أن يتجر فيه ويستفيد، تلك التجارة ربح، فلما تركه في يد المديون وانتفع به المديون لم يبعد أن يدفع إلى رب المال ذلك الدرهم الزائد عوضاً عن انتفاعه بماله؟ قلنا: إن هذا الانتفاع الذي ذكرتم أمر موهوم قد يحصل وقد لا يحصل، وأخذ الدرهم الزائد أمر متيقن، فتفويت المتيقن لأجل الأمر الموهوم لا ينفك عن نوع ضرر».

كما زاد البيضاوي هذا الأمر تحريراً بقوله: «الفرق بيّن، فإن من أعطى درهمين بدرهم ضيع درهماً، ومن اشترى سلعة

النظام الاقتصادي الإسلامي متفرد لا يمنع من مكافأة رأس المال من خلال ربط العائد بالجهد

تساوي درهماً بدرهمين فلعل مساس الحاجة إليها أو توقع رواجها يجبر هذا الغبن».

وبذلك كان السبق لعلماء المسلمين منذ قرون في الرد بمنهجية علمية على نظريات تبرير الفائدة التي أثيرت في واقعنا المعاصر تحت مسمى حق رأس المال في المكافأة أو العائد تعويضاً عن المخاطر، أو ثمن لاستعمال المال، أو للتنازل عن النقود أو السيولة، أو أجر للزمن، أو أجر للادخار، أو ريع للنقود كريع الأرض، فالإمهال ليس مالاً أو شيئاً يصلح عوضاً، وربح المقترض من القرض أمر موهوم، في حين الفائدة على القرض أمر متيقن للمقرض، وهذا بخلاف البيع الذي فيه جهد وعمل ومنفعة متوازنة لطرفيه، فلا ربح بدون تحمل للمخاطر، وليست المخاطر سلعاً أو خدمات بذل الإنسان فيها جهداً ووقتاً ومالاً لتهيئتها وبيعها بربح أو تأجيرها مقابل أجر.

وبذلك تبدو عظمة النظام الاقتصادي الإسلامي، فهو لا يعطي فائدة لرأس المال كما في النظام الرأسمالي، ولا يمنع رأس المال من الحق في العائد كما في النظام الاشتراكي، فهو نظام متفرد، فلا مانع فيه -من حيث المبدأ- من مكافأة رأس المال ولكن يربط ذلك بالاقتصاد الحقيقي من خلال ربط العائد بالجهد، لذا فمكافأة رأس المال ليست جائزة على إطلاقها، بل مرتبطة بجهد وسعي وعمل وربح وخسارة، فهي تجوز في المشاركات كحصة شائعة ومعلومة من العائد أو الناتج، وتجوز في البيوع الآجلة (من بيع مؤجل الثمن وبيع مؤجل المثمن) مقابل الزمن، وفي الوقت نفسه لا تجوز إذا كانت زيادة مشروطة في القرض مقابل الزمن.■

الزيادة في الربا فعلية بدون عوض وأما في البيع لا يمكن القول بها

قياس المرابين البيع الحلال على الربا الحرام انتكاس للفطرة الإنسانية

الرايات الثلاث في طريق النجاح

د. أحمد طه عبدالله
دكتوراه في الحديث - إمام المنتدى العربي بألمانيا

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله تعالى في صبيحة كل يوم ومسائه من العجز الذي يُقعد صاحبه عن تحقيق ما خُلق له من عبودية ربه، وتعمير أرضه، فيقول صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل..»، والنبي صلى الله عليه وسلم مدرك تماماً لمآلات هذا العجز الذي يُحطم الهمم، ويبطئ المسير، ويُقعد المتحفز، ويطفئ الحماسة.

فالعجز صخرة النجاح، فهو مستعيذ بالله تعالى منه، وطالب الاستعانة به في دفعه عنه وعن أمته، وقد نصح أصحابه وعلَّمهم أمر الرايات الثلاث قائلاً: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجَزْ» (رواه مسلم)، فجمع لهم ثلاث وصايا مهمة في الوصول إلى إنجاح الغايات، وتحقيق الأهداف، وتسويد الصحائف بمداد ملك اليمين بالأعمال الصالحة، وختم القبول الإلهي.

الوصية الأولى: «احرص على ما ينفعك»:

وذلك يتطلب خطوات مهمة لتنفيذها:

١- إبصار النفع وإدراكه في الشيء: فلا يتم حرصك على شيء إلا إذا كنت مبصراً له مدركاً لحقيقته من علم وعمل، ومن طاعة وكسب، ومن تجارة دنيوية كانت أم أخروية، وهذا يتطلب الوقوف الكامل على كينونة المحروص عليه قبل الدخول فيه.

والمتتبع لسير الفائزين بجنان الدنيا والآخرة من سلف وخلف تجده محققاً لهذه الوصية النبوية بشكل كامل وفريد، فلا يكاد يغفل عن موطن نفعه ولا ينشغل بغيره عنه، وقد يتعدد النفع في الشيء الواحد بين الدنيا والآخرة؛ كالحريص على العلم بشكل عام، والقرآن الكريم حفظاً وتلاوة وقراءة وإقراء وجمعاً وتحبيراً بشكل خاص، فهو مع القرآن أينما توجه، مصاحباً له مرافقاً لآياته في الأندية والجماعات، والبيت والخلوات، يحبره هو بقراءته فيحبره القرآن بعطاياه وأخلاقه وشخصيته، فرأينا أُبياً، وأبا موسى، وزيد بن ثابت، وأبا الدرداء، وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، ورأينا نافعاً، وابن كثير، وأبا عمرو، وعاصماً وغيرهم من كبار القراء، ورأينا من معاصرينا الحصري، وعبدالصمد، والمنشاوي وغيرهم لما حرصوا جميعاً على ما ينفعهم وقد أبصروا حقيقته وأدركوا ثمرته كيف كان النفع لهم ذكراً وخيراً في الدنيا.

وقس على ذلك كل شيء تحرص عليه وترجو تحقيقه أن تدرك نفعه وتبصر ثمرته أولاً قبل الولوج عليه والدخول فيه، شريطة أن يربط هذا النفع بجمع ثماره بين الدنيا والآخرة معاً.

٢- جمع الأسباب لتحقيق كمال النفع: فالحرص على اجتماع الأركان والجنان والأفكار في تحقيق الشيء وتفعيله، فلا يكاد يغفل عنه بجارحة، أو يضيّع سبباً في تحصيله والظفر به على كامل نفعه وثمرته، وهذا ما أمرنا به في كثير من توجيهات شرعنا الإسلامي، من ذلك: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم﴾ (الأنفال: ٦٠)، ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً﴾ (التوبة: ٤٦)، ﴿فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللّهِ﴾ (الجمعة: ١٠)، ومن السُّنة المشرفة كقوله صلى الله عليه وسلم: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»، وقوله: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ».

فالمشكلة الحقيقية في عدم إدراك الأشياء وتحقيق الغايات وتوريث العجز هو غياب هذه السُّنة في حياة الناس؛ إما بذلاً لبعض الأسباب دون حصرها وجمعها، وإما تركاً لها بالكلية وانتظار موهوم الفرج، وكلاهما انتفاء لفكرة الحرص المزمع وجوده من الفرد.

٣- الانشغال بالنفس في تحقيق النفع: فالمسلم الذي ينشغل كثيراً بغيره أو يحرص على نفع غيره دون نفع نفسه مغبون مخدوع، وللأسف إذا تكلمت معه وحاورته في ذلك يسرد عليك جملة من الآيات والأحاديث الداعمة لفعله والمؤسسة لسعيه دون النظر إلى مثل هذا الحديث القوي في إرشاده وتوجيهه، وأنا هنا لا أنفي ما يقوله ويسرده، وإنما أنفي حصره وتقديمه في غير موضعه، فأورادك وعلمك وتعليمك وعبادتك وتجارتك وغيرها أمر

متعلق بك أنت، وتحصيله لا بد أن يكون في أولويات عملك ونشأته منك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾(المائدة: ١٠٥).

والسلف في تطبيقه أكثر، فما حرصهم على أمتهم وعلى قضايا دينهم إلا لأنهم لم يهملوا أنفسهم ولم يبتعدوا عن الانشغال بما يكونون عليه من تفردات تأخذ بصلاح أنفسهم وجبر كسرهم وإلمام شعثهم، فأنتجوا وأبدعوا على المستويين الفردي الذي كان جذوة الانطلاق للعمل الجماعي.

الوصية الثانية: «استعن بالله»:

وفي الاستعانة بالله من المعاني الجليلة العظيمة ما كثر ويكثر في سرده العلماء والكتّاب، وجلها تدور حول: تمام العبودية لله تعالى، ورؤية الله سبحانه في كل أمر، وإنزال الله عز وجل منزلته وتقدير قدره، وتأكيد النفع والضر منه وحده دون غيره، واستخارته في مقبل الأحوال والأحداث، وإعلان ضعف المخلوق وافتقاره الدائم إليه، وربط كل ما يحرص عليه المسلم ويرجو نفعه بشريعته وحله، وطلب رضاه وتوفيقه.

وهذه المعاني وغيرها إنما هي دلالات قوة العقيدة في القلب، وسلامة الوعي في العقل، وصحة السير في الأركان لله تعالى، ولقد كان الأنبياء والمرسلون ليبثون استعانتهم بربهم في دقيق الأمور وعظيمها، في خلواتهم وجلواتهم، تأكيداً لهذا المعنى وترسيخاً له، حتى جعلها ربنا شعاراً يومياً مكرراً في حياتنا في جميع لقائنا به رافعين: «إياك نعبد وإياك نستعين».

لكن ما يلفت الانتباه هنا هو جعلها وسطاً في حديث نبينا بين حرص المرء على ما ينفعه وبين ترك ما يعجزه، وكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم في ترتيب كلماته يجعل الاستعانة بالله حاملة للأمرين معاً، فالحرص على ما ينفع يحتاج في بيانه وقوته وديمومته للاستعانة بالله، كما أن ترك العجز والفتور والمثبطات وتراجع الأداء يحتاج الاستعانة بالله تعالى، فهي معك أينما حللت، وهي معك في توجيهاتك في كسب الشيء النافع أو ترك الشيء الضار.

الوصية الثالثة: «ولا تعجز»:

وهذا أهم شيء للوصول لغايتك والوقوف على نضوج ثمرتك، والمرء لا يُتهم في حرصه ولا في استعانته، وقد يؤكد بفعله ما مر في ذكرهما ويجمع شروط تحقيقهما لكنه قد يفرط في هذه الأخيرة في تحقيقها.

وسبب العجز متعدد، إذا ما عرف ودرس انتفى بالإبصار وتغلب عليه بقوة الاقتدار، فمن ذلك:

- عدم التدرج في الفعل والصعود بروية في تحقيقه؛ فما يؤخذ بفورة العمل في صعوده سرعان ما يدب له انكماش المنحنى في نزوله.

- عدم معرفة البدايات الصحيحة؛ فكثير ممن يدخل العمل لا يعرف من أين يبدأ، فتراه تغلبه عاطفته على تعقله ويضيع الباب الصحيح في الدخول عليه، فلا يكاد مع زهو شروق البداية وبهرجها أن ينصدم بعتمة الليل التي تعتري العمل فلا يصبر معها على طلوع فجره وشمسه، فتراه يعود بأدراجه ويترك مسيره.

- التشتت في الأعمال؛ فالله تعالى قد أسس لنا بقوله سبحانه: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ (الأحزاب: ٤)، قاعدةً في التركيز في الأشياء لتحقيقها وإتمامها، لكن ابتلينا بفتح جبهات ومواضيع وملفات نلج فيها جميعاً فلا ننتج أياً منها، ولو أنتجنا لم يكن فيها شيء من الإتقان أو الإحسان، وإذ به يعتذر عندما توجهه وتخالف فعله بسيل من العبارات التي تستخدم في غير موضوعها، كقوله: «استعمالي في أبواب الخير، أو خوفي من ترك الملفات فتضيع، أو سددوا وقاربوا..»، ولا أعترض على استدلالك، وإنما أعترض على فهمك، ألم تسأل نفسك يوماً ما: لماذا لم أنجز في أي منها؟! ولماذا لم أوفق لإخراج أفضل صورة أردتها في هذا العمل؟! والإجابة بسيطة: أنت ببساطة رجل مشتت.

- انتفاء التخطيط في حياتك؛ والتخطيط يعني معرفة مقدار الجهد المبذول في الوقت المعلوم لتحقيق المأمول، ويعني ملازمة البند لاستيفاء الحد، فتلازم كل بند في تخطيطك لاستيفاء حده فتنطلق مطمئناً لما بعده.

- رؤية النموذج والتجربة العاجزة وعدم البحث عن التجربة والنموذج الناجح، وخاصة إذا كانت قريبة منك، فسرعان ما ينقل لك مثبطات تجربته واستحالة تجاوز ما يتجاوزه.

- ومع ما ذكرت، فزد من أسباب العجز: قلة الزاد، انفصال الإيمان عن الأعمال، توقع الفشل، ترك المحاسبة، غياب الداعم.

وعلاج كل هذه الأسباب في تركها والأخذ بعكسها.

وخلاصة القول: إننا نريد تحقيق هذه السُّنة، واستلام هذه الرايات استلاماً قوياً، وتأكد أن بها لا بغيرها تحقق النجاح وتصل للغاية وتفرح بالثمرة.■

الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة

د. بن يحيى بن عيسى محدادي

الكلمة الطيبة، وما أدراك ما الكلمة الطيبة! إن الكلمة الطيبة تشرح القلب وترتاح لها النفس عند سماعها لمئات المرات، حيث تسري إلى القلب؛ فتحدث إيقاعاً جميلاً وحساً رفيعاً مرهفاً؛ فيشعر القلب بالسرور والسعادة والراحة والأمان.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم)، فالكلمة الطيب جذورها طويلة، وثمارها حلوة وعواقبها جميلة، وكما يستفاد من الشجرة الطيبة المباركة ومن ثمرتها الإنسان والحيوان، كذلك الكلمة الطيبة تعطي ثمرتها السرور للنفس والأمان، والراحة والطمأنينة والسلام؛ فتنعشه وتريحه من عناء الحياة وكدرتها.

والكلمة الطيبة تكسب الأمير والملك، فبفضل الكلام الرقيق العذب المنبعث من العقل الرزين والقلب النظيف؛ تجعل صاحبها محبوباً لدى الأمراء والخلان والجيران والأحباب، فكان الكتاب والشعراء قديماً يعطون من كلامهم الموزون العذب وزنه دنانير ذهبية، أو دراهم فضية، أو عطايا غفيرة.

تكسب الكلمة الطيبة قلوب النساء؛ فيستسلمن لصاحبها وترق قلوبهن؛ فهي السحر الحلال الذي يثبت دعائم الأسرة ويحافظ على كينونتها وبقاء العلاقة الزوجية متينة، لا تتزعزع أبداً، باقية وثابتة كالطود الشامخ.

وتجذب الكلمة الطيبة الأصدقاء وتجعلهم أوفياء، بل تنقذ النفوس من الهلاك والموت المحتم، وقد صدقت التجارب وذكرت الأخبار في كتب التاريخ والآداب والأبرار أن الإنسان القوي بعلمه والحكيم في تصرفاته وتدبيره جعل من كلامه الرزين وحكمته البليغة أداة وسبباً في إنقاذ البشرية من الحروب المهلكة والأسلحة الفتاكة المدمرة أحياناً كثيرة.

والكلمة الطيبة صدقة، كما قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ يتصدق بها الإنسان ذو العقل الراجح القوي والقلب السوي على أخيه المهموم المكروب؛ فتحيي قلبه من جديد فيدب فيه النشاط والحيوية؛ فيضحى أقوى من الحديد.

وهي طريق للحسنات، ورفع للدرجات، ومحبة المخلوقات، ونيل رضا خالق الأرض والسماوات، والظفر بنعيم الجنات.

ومن الكلم الطيب ذكر الله قياماً وقعوداً، بكرة وعشية في الليل والنهار، وفي الحر والقر؛ فبذكر الله تطمئن القلوب وتشفى الصدور.

الكلمة الخبيثة

أما الكلمة الخبيثة فهي ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ (البقرة: ٢٦)؛ فجذورها قصيرة وعواقبها جسيمة؛ فهي تنبعث من نفس خبيثة لا تحب الخير ولا الطيب من القول، فالكلمة الخبيثة ينفر منها القلب الصادق المطمئن فلا يطيق سماعها، ولا يتحملها، حتى كأنه يضرب عليه بمطرقة من حديد فتُؤلمه وتعذبه.

فكم من كلمة خبيثة قتلت نفوساً ظلماً وعدواناً، وهتكت أعراضاً؛ بل أضاعت رجالاً،

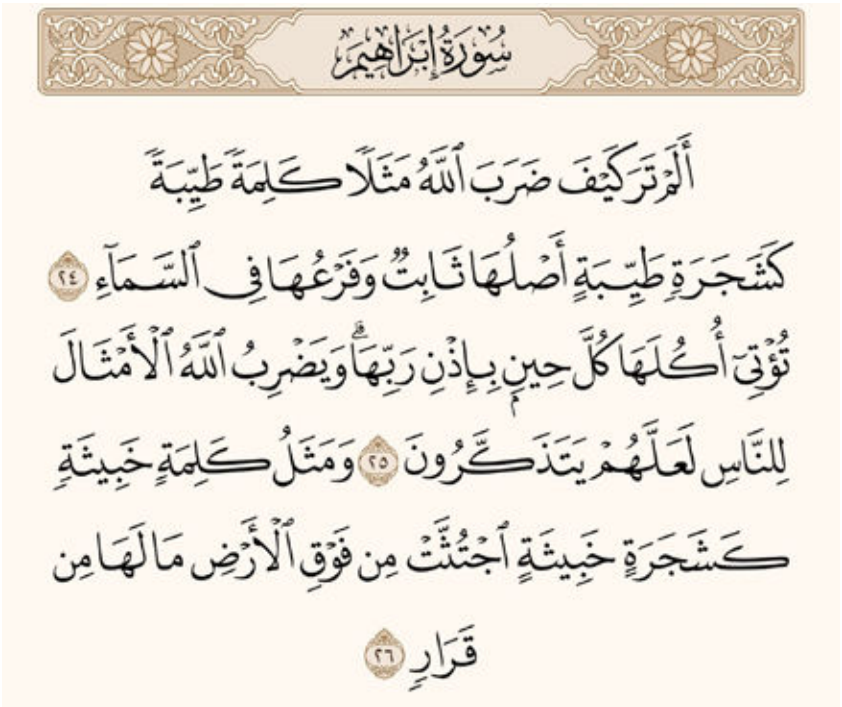

الكلمة الطيبة السحر الحلال الذي يثبت دعائم الأسرة ويحافظ على كينونتها

كم من كلمة خبيثة قتلت نفوساً ظلماً وهتكت أعراضاً وأضاعت رجالاً وطلقت نساء!

الهدية ربما تُنسى ولا تدوم عينها لكن الكلمة يبقى أثرها مهما بلغ الإنسان من العمر

وطلقت نساء، وشردت أطفالاً، وباعدت بين الأصدقاء والأحباب! وكم من كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة، وأفسدت عقولاً، وخربت بيوتاً، وفرقت بين الصديق وصاحبه، وبين الجار وجاره، وبين الوالد وولده، وبين المسؤول ورعيته وبين المعلم وتلميذه!

قل هل تستوي الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة؟! وهل تستوي النفس الطيبة مع النفس الخبيثة؟!

فالكلمة الطيبة أنور من القمرين وأحلى من العسل وأغلى من اللجين؛ فهي منارة للجاهل، وسراج الضال والتائه إلى الطريق المستقيم، وهي ترياق لكل سم يصيب النفس؛ فتمحو معالمه وتكسيه حلة أنيقة وعزيمة، تسري إلى أنحاء البدن؛ فيقف صاحبها قوياً عاملاً نشيطاً.

والكلمة الخبيثة سترجع وبالاً وهلاكاً على صاحبها أولاً قبل غيره، عاجلاً أم آجلاً؛ فهي كشعلة نار محترقة وستحرق قائلها يوماً ما، فالله يحب الطيبين ويبغض الخبيثين وصاحب الكلم الخبيث يناسبه صاحبه في الفعال والخصال قال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ (النور: ٢٦).

في هذا الحياة لا يمكننا الاستغناء عن الكلام داخل بيوتنا أو في المجتمع أو في شؤون حياتنا كلها، لكننا مسؤولون عن كل كلمة نتفوهها، فالبصير من وزن كلامه وهذّبه قبل إلقائه أو كتابته، والخاسر من تعجل أمره وألقى بالكلم دون تروٍّ أو أناة؛ فيقذف بعباراته من يشاء وربما ندم بعد ذلك، قال عز وجل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦).

فليكن الواحد منا ناشراً للكلم الطيب في كل أوقاته، ويجعله صدقة وهدية للقلوب المتعبة، وللمرضى والمكروبين؛ فالهدية ربما تُنسى ولا تدوم عينها، لكن الكلمة يبقى وقعها وأثرها مهما بلغ الإنسان من العمر، وهي بدون ثمن أو مقابل أو عناء.

وقد أوصانا حبيبنا ونبينا عليه الصلاة والسلام باختيار الطيب من القول، فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» (رواه البخاري ومسلم)، وقال موصياً معاذاً بن جبل رضي الله عنه: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟»، قلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»، ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟»، فقلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: «كف عليك هذا»، قلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟! فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكُب الناسَ في النار على وجوههم -أو قال: على مناخرهم- إلا حصائدُ ألسنتهم» (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح).

وعلينا أن نتقي الله في شبكات التواصل الاجتماعي فلا نلج إلا ما هو خير لنا؛ ولا نعلق على منشور إلا بصدق وبكلمات إيجابية، وإن أردت النصح لأحد فكلمه مباشرة أو أرسل إليه رسالة خاصة، فكم من تعليقات سخيفة غير مدروسة العواقب وكانت ظالمة؛ أرْدَت صاحبها المهالك وأسقطت هيبته وعرضته للأخطار وأبعدته عن جادة المسالك.

ورب تعليق قد يصيب صاحبه بفضيحة أو إنقاص من قيمته، أو قد يؤدي إلى جرح مشاعر الغير وأذيته، وربما يكشف ويبين مدى ضعفك وانحطاطك وخلقك المتدني، وفي الأول والأخير أنت مسؤول عما تكتب أو تنطق من الكلم، سواء أمام الله تعالى، ثم أمام التاريخ والقانون؛ فلا تكتب أو تنطق إلا خيراً، إن أردت النجاة، أو عدم الندم في الحياة.

الكلمة مفتاح للقلوب والعقول، فليكن سلوكك هادفاً لنشر الخير، واجعل قلمك ولسانك يضخان بالكلم الطيب النافع؛ لتجبر القلوب المكسورة، والنفوس الحزينة، والأحاسيس المكلومة.

فلتكن طيب الفؤاد، صادقاً في القول، ومخلصاً في الفعال، ومتجنباً الكذب؛ فإنه بوابة الذنوب، وإياك والحيلة والخديعة؛ فستكتشف من العقلاء والأتقياء، وتنزل مكانتك إلى درجة الأشقياء، ازرع الأمل في أهلك ومن حولك وفي أمتك، بالكلم الإيجابي الجميل؛ فستظفر ببصمة في الوجود، ويحبك الحي القيوم.■

الأسس النفسية للتأثير الدعوي (1)

مرونة النفس الإنسانية

يحتاج التأثير الدعوي إلى بصيرة تسهم في إدراك الواقع وفهم الواجب تجاهه، من أجل الوصول إلى الهدف وتحقيق الغاية، وإن الدعوة الإسلامية تتطلع إلى تكوين هذه البصيرة في الدعاة، حتى يدركوا ما تنطوي عليه نفوس الناس، وما يجب لهم من مهارات وأدوات تستطيع أن تقودهم إلى الصراط المستقيم.

وتأتي هذه السلسلة من المقالات الدعوية تحت عنوان «الأسس النفسية للتأثير الدعوي» من أجل الوقوف على الركائز النفسية التي يستند إليها الداعية ليحقق النجاح في مهمته السامية، ونبدأها بـ«مرونة النفس الإنسانية».

د. رمضان سيد أحمد
دكتوراة في الدعوة الإسلامية

مرونة النفس الإنسانية نقصد بها «تعديل السلوك الإنساني لمواجهة التغيرات الحاصلة»[1]، فهي تعني: الحركة المطلقة والتفاعل الإيجابي مع المستجدات الحياتية.

التأصيل الشرعي:

إن الناظر إلى النفس الإنسانية يجد أنها تنطوي على الخير والشر، والتقوى والفجور، فقد قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: ١٠)؛ يعني الطريقين؛ طريق الخير وطريق الشر[2]، وقال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس)، فهي نفس مرنة، تستطيع أن تنتقل بين هذه الأحوال صعوداً إلى الخير أو هبوطاً إلى الشر.

وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل من نفسه في المرونة النفسية التي تستطيع أن تنتقل بين الأحوال المتباينة من أجل تحقيق الأفضل والأحسن، ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ أمرين إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً، فَإِنْ كَانَ إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِنَفْسِهِ إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها»[3].

التوظيف النفسي:

أكدت الدراسات العلمية أن النفس تقبل التغيير والتعديل وإعادة التشكيل، حيث إن «المرونة النفسية من العوامل المكونة للقدرة على التفكير الإيجابي والابتكاري والتكيف مع الصعوبات وحسن التفاعل معها»[4]، فالنفس البشرية تقبل التغيير الوجداني والتعديل السلوكي، من خلال تغيير المفاهيم والتصورات الفاعلة في تكوين الاتجاهات والسلوكيات.

التوظيف الدعوي:

تؤسس المرونة الإنسانية لمنهجية التغيير الإسلامي في الفكر والسلوك، حيث إن «مرونة الذات الإنسانية وقابليتها لتعديل المعتقدات والمواقف هي مناط الرسالات السماوية التي جاءت لتعديل التصورات والمفاهيم الخاطئة»[5]؛ ولهذا يجب على

مرونة الداعية تظهر في قدرته على فهم الأحوال النفسية والاجتماعية وحسن التفاعل معها

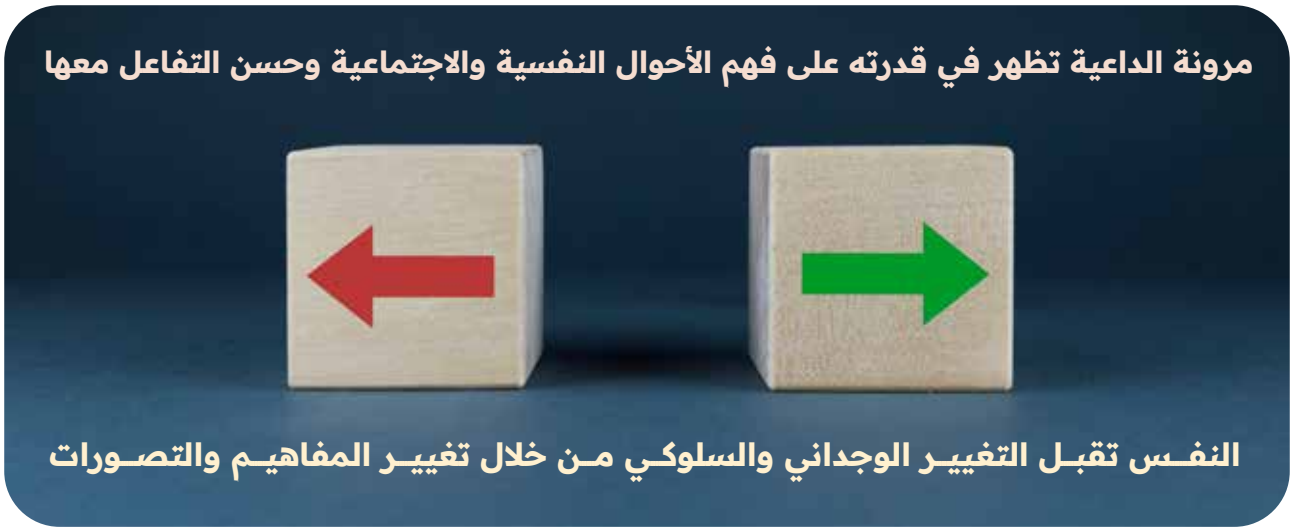

النفس تقبل التغيير الوجداني والسلوكي من خلال تغيير المفاهيم والتصورات

الداعية أن ينطلق من قاعدة المرونة النفسية في تغيير الاتجاهات الفكرية والسلوكيات الحركية له ولمدعويه.

- أما مرونة النفس الإنسانية لدى الداعية فتظهر في قدرته على فهم الأحوال النفسية والظروف الاجتماعية، وحسن التفاعل معها، من غير جمود على حالة أو قضية أو أسلوب أو وسيلة دعوية واحدة.

- وأما المرونة لدى المدعوين فتظهر في انتقالهم بين الأحوال المتنوعة بناءً على تغير التصورات الذهنية أو تبدل الأحوال الاجتماعية؛ ولهذا وجب على الداعية أن يرسم الخطط ويختار أفضل الأساليب والوسائل التي يصل من خلالها إلى توظيف مرونة النفس في تعديل التصورات والاتجاهات وضبط السلوكيات.

الدليل على التأثير الناجح:

إن المتدبر في حياة الأنبياء والمرسلين وسير الدعاة المخلصين، يدرك أن ما أحدثوه من تغيير في حياة أقوامهم ونجاح في أداء مهماتهم؛ جاء نتيجة توظيف مرونة الدعاة والمدعوين في استيعاب الواقع الذي يعيشون فيه واختيار أقوم السبل التي تحقق النجاح والفلاح.

ومما يدل على ذلك ما كان من أمر النبي صلى الله عليه وسلم مع سيدنا خالد بن الوليد، فقد ذكرت كتب السير أن خالداً بن الوليد رضي الله عنه قال: لما صالَحَ النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً بالحديبية قلت في نفسي: أي شيء بقي؟ أين أذهب؟ إلى النجاشي؟! فقد اتبع محمداً، وأصحابه عنده آمنون، فأخرج إلى هرقل فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية؟! فأقيم مع عَجَم تَابِعاً، أَوْ أُقيم في داري فِيمَنْ بَقِيَ؟ فأنا فيَّ ذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء، فتغيبتُ ولم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم، فطلبني فلم يجدني فكتب إليَّ كتاباً فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإني لم أرَ أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك! وقد سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك وقال: «أين خالد؟»، فقلت: يأتي الله به، فقال: «مثله جهل الإسلام؟ ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين كان خيراً له، ولقدّمْناه على غيره»، فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة.

قال خالد: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام، وسرني سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عني، فذهبت إليه وسلمت عليه بالنبوة فرد عليَّ السلام بوجه مبتسم، فقلتُ: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال: «تعالَ»،

مرونة المدعوين تظهر في انتقالهم بين الأحوال بناء على تغير التصورات الذهنية أو الاجتماعية

مرونة النفس الإنسانية وقابليتها للتغيير تعد أساساً فاعلاً في نجاح العمل الدعوي

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله الذي هداك، قد كنتُ أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير»[٦].

ففي هذا الموقف بيان واضح لإحاطة النبي صلى الله عليه وسلم (الداعية) بنفسية المدعو، ووقوفه على أحواله وسماته الشخصية وتطلعاته المستقبلية، ولهذا سأل عنه واختار أفضل السبل الملائمة له، حتى هداه الله تعالى إلى الحق والرشاد.

إن مرونة النفس الإنسانية وقابليتها للتغيير وإعادة التشكيل تعد أساساً فاعلاً في نجاح العمل الدعوي، فعلى الداعية أن يستثمر هذه الركيزة في فهم نفسية المدعوين واختيار أنسب الوسائل التي تنتقل بهم من الضلالة إلى الهداية، وتراعي أحوالهم من البداية إلى النهاية.■

الهوامش

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبدالحميد عمر، (٣/ ٢٠٩٠).

(٢) تفسير القرطبي، (٢٠/ ٦٥).

(٣) صحيح البخاري، (٣/ ١٣٠٦)، رقم (٣٣٦٧).

(٤) المرونة النفسية وعلاقتها بالتفكير الإيجابي لدى المراهقين، د. عائشة العازمي، ص ١٤٤.

(٥) فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، د. أحمد رجب الأسمر، ص ١٦١.

(٦) سير أعلام النبلاء: الذهبي، (٢/ ١١٥)، البداية والنهاية: ابن كثير، (٦/ ٤٠٦).

محطات إيمانية في طريق التربية..

ارحَموا تُرحَموا

إيمان مغازي الشرقاوي
ماجستير الدعوة بجامعة المدينة العالمية

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتُها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعتْ إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمَتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرتُ الذي صنعَتْ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار» (رواه مسلم).

إنها الرحمة التي تجلت من هذه الأم المسكينة تجاه ابنتيها فآثرتهما بنصيبها من هذه التمرات الثلاث، وقد كانت جائعة مثلهما! لكن القلب الرحيم لا يعرف الأنانية وحب الذات، وإنما خُلقه الرقة والعطف والإيثار والحب؛ لذا كان جزاؤها عظيماً في الدنيا والآخرة، فخُلد ذكرها وحُمِدَ فعلها وصارت مثالاً للرحمة والرحماء، أما في الآخرة فقد رحمها الله فأوجب لها الجنة وأعتقها من النار، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ارْحمُوا تُرحَمُوا» (رواه أحمد).

إنها الرحمة التي ما لامَسَتْ قلباً إلا وألانته، ولا بُذلت لمحزون إلا خففت من حزنه، بها يواسَى المصابون، ويتداعَى المؤمنون، فيكونون كالجسد الواحد حين تدفعهم للشعور بأحوال إخوتهم، ومعرفة حاجاتهم، والإحساس بآلامهم، ولِمَ لا، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه، اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه، اشتكى كله» (رواه مسلم)، وقال: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه مسلم).

وهي الرحمة التي تدفعهم إلى السعي في تفريج كربات المكروبين منهم وتنفيسها عنهم، فتنفيس الكربات، والتيسير على المعسرين في المال بإنظارهم أو بإغنائهم، وستر عورات المسلم والسعي في حاجته، كل ذلك ما هو إلا من آثار الرحمة التي يضعها الله في قلوب عباده، ليجزيهم عليها بما يحبون، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» (رواه مسلم).

الرحمة ما لامست قلباً إلا وألانته.. بها يواسَى المصابون ويتداعَى المؤمنون

إن الله عز وجل يحب الرحمة وهو سبحانه وتعالى أرحم الراحمين، ومن أسمائه «الرحمن الرحيم»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هما اسمان رقيقان أحدهما أرقُّ من الآخر» (تفسير البغوي)، كما وصف الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالرحمة، فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

وقد ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم أحسن مثال في الرحمة، ودعانا إليها ورغبنا

نرحم الصغير بالعطف عليه والكبير باحترامه وتوقيره والفقير بالإحسان إليه وإغنائه

فيها فقال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء» (أخرجه الترمذي)، فكان صلى الله عليه وسلم رحيماً في بيته مع أهله، رحيماً مع أصحابه، رحيماً مع الصغير والكبير، والطير والحيوان والجماد، بل رحيماً مع أعدائه!

ولأهمية التحلي بالرحمة ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة، مرغباً فيها وداعياً إليها، «ذلك لأنَّه ما من معاملة من المعاملات، أو رابطة من الروابط الاجتماعية أو الإنسانية، إلا وأساسها وقوام أمرها الرحمة، فمِن علاقة الإنسان بنفسه التي بين جنبيه، وعلاقته بذويه وأهله، إلى علاقته بمجتمعه المحيط به، إلى معاملته لجميع خلق الله من إنسان أو حيوان، كل ذلك مبني على هذا الخلق الرفيع، والسَّجيَّة العظيمة» (الدرر السنية).

وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أن يعلم أصحابه هذا المفهوم الواسع للرحمة، فقال: «لن تؤمنوا حتى تراحموا»، قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم، قال: «إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة» (رواه الطبراني)، وذلك حتى تتسع الرحمة وتمتد وتؤتي ثمارها من الإصلاح والتآلف، وتؤدي إلى أن نرحم مَن حولنا، فنرحم الصغير بالعطف والشفقة عليه والرفق في التعامل معه وحُسن تربيته، ونرحم الكبير بإجلاله وتوقيره وعونه وقضاء حوائجه لا سيما في ضعفه وشيبته، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا» (رواه أحمد).

وهي الرحمة بالفقير بالإحسان إليه وإغنائه عن ذل السؤال، ورحمة بالجاهل فيُعَلَّم برفق وصبر، ورحمة بالذليل ببذل الجاه له والرفع من شأنه، وهي الرحمة بالعاصي فيُنصَح نصحاً رفيقاً ويوعظ بشفقة وحب،

الشريعة كلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها وفي الأمر بأداء الحقوق

وتمتد الرحمة لتصل إلى الكافر فيُدعَى إلى الدين الحق بالحكمة والموعظة الحسنة وبالقدوة الصالحة والخلق الطيب؛ عله يهتدي ويُسلِم فينجو ونؤجَر، أو يكف أذاه فنَسلَم منه.

إن الرحمة ورقة القلب من أسباب دخول الجنة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مُقسِط متصدق موفَّق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال» (رواه مسلم)، وإذا نُزعت الرحمة من قلب إنسان فهو لا شك محروم، كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله: «لا تُنْزَعُ الرحمةُ إلا مِن شقِيٍّ» (أخرجه أبو داود)؛ لذا فقد حذرنا من الغلظة والقسوة ولو كانت مع الحيوان البهيم، فقال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» (رواه البخاري)، فإذا كانت هذه العقوبة من الله تعالى لمن يؤذي الحيوان فكيف بمن يؤذي عباده ظلماً بغير حق، لا شك أن هذا أشد جُرماً وأعظم خطراً، وقد نبهنا النبي صلى الله عليه وسلم من عاقبة ذلك فقال: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناسِ في الدنيا» (رواه مسلم)، وقال: «لا يَرحم الله مَن لا يَرحم الناس» (رواه البخاري).

مَن نظر إلى دين الإسلام بإنصاف وعدل فسوف يتجلى له كم أنه دين الرحمة والسماحة والعدل والحب، وهذا هو نبينا صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، وهذه شريعة الله تعالى شريعة الرحمة؛ حيث إنها لا تخلو من الرحمة في أحكامها، وأوامرها، ونواهيها، وأخلاقها، بل وفي جانب الحدود والعقوبات فهي أيضاً لا تخلو فيها من الرحمة، بالجاني والمجني عليه، بل الرحمة بمجموع أفراد المجتمع كله.

حين تصير الرحمة سجيَّة سيأتي الحب ويكثر البر ويظهر الإيثار وتُوصَل الأرحام

وقد قال أهل العلم: «إن الشريعة كلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها، وفي الأمرِ بأداء الحقوق سواءٌ كانت لله أو للخَلق، فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وإذا تدبرنا ما شرعه الله عز وجل في المعاملات والحقوق الزوجية وحقوق الوالدين والأقربين والجيران وسائر ما شرع، وجدنا ذلك كله مبنياً على الرحمة، فقد وسِعتْ هذه الشريعة برحمتها وعدلها العدو والصديق، ولقد لجأ إلى حصنها الحصين الموفقون من الخَلق» (موسوعة نضرة النعيم، ج٦).

هذه لمحات عن خلق الرحمة، الذي وصف الله به نفسه سبحانه، وجعله خُلق أنبيائه ورسله، ودعا إليه عباده ليتقربوا به إليه، فكم نحن بحاجة إلى التحلي بهذا الخُلق الرائع وهذه العبادة العظيمة! وحين تصير الرحمة سجيَّة وعادة لنا، وتفشو بيننا؛ سيأتي الحب ويحصل التوادّ، ويكثر البر والتواصل، ويظهر الإيثار، وتوصَل الأرحام، ويُرعَى الآباء والأمهات، فتتماسك الأسَر، ويجد الأولاد مَن يحتويهم ويضمهم، ويكون الزوج معاشراً بالمعروف لزوجه، والصديق رحيماً بصديقه، ويحصل التآلف وتقوى المجتمعات، ويحل الأمن والأمان، ويسعد الإنسان.■

عبده دسوقي
باحث في التاريخ الحديث

مصلحون رحلوا في يوليو ..

العامر و عبدالحي وعبدالحميد والعمراني

لا يخلو شهر من شهور العام من ذكرى لعلماء ومفكرين ودعاة ومصلحين غيبهم الموت بعدما تركوا بصمات جلية في حياتنا ونفوسنا وواقعنا لا يمكن تجاهلها، وسطروا مواقف من العمل لدين الله تعالى كأنها كتاب مفتوح من العطاء يطالعه كل راغب في الوقوف على حقيقة الدين والحياة معاً.

نجيب العامر.. المحب لنبيه صلى اللَّه عليه وسلم

رحل بعدما ترك أثراً عظيماً من الابتسامة في وجه كل حيران، وإصلاحاً في رأب كل صدع في الأسرة، وحباً وعشقاً لسيرة نبيه صلى الله عليه وسلم، فجسدها واقعاً ملموساً مرسوماً أمام الشباب بحسن عرضه.

إنه الشيخ نجيب خالد محبوب العامر، الذي ولد في ٧ جمادى الأولى ١٣٧٤هـ/ ١ يناير ١٩٥٥م، في منطقة النقرة بمحافظة حولي بالكويت، وسط أسرة حرصت على غرس معاني الخير وحب النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته ودعوته في نفوس أبنائها؛ فشب نجيب محباً لدينه.

تخرج في الثانوية العامة بالقسم العلمي، ثم التحق بمعهد المعلمين قسم الرياضيات، ثم التحق بقسم الدراسات الإسلامية في كلية التربية الأساسية، وحصل على الماجستير في التربية من جامعة الكويت، وما لبث أن بدأ برسالة الدكتوراة وأتمها قبل وفاته، ولكنه لم يناقشها، وكانت رسالته «الرسول المربي صلى الله عليه وسلم».

عمل مدرساً في بداية حياته لمادة الرياضيات، لكن عشقه لدينه جعله يتقن تدريس مادة التربية الإسلامية، قبل أن يتفرغ للعمل كداعية ويؤلف من أجل ذلك الكتب والدراسات، وإلقاء المحاضرات والدورات التربوية، متأثراً كثيراً بالشيخ أحمد القطان، وخاصة أسلوبه الدعوي والاجتماعي.

وكان من أقواله: «إذا انشغل الناس بالجدال والصراع فاشغلْ نفسك بتهذيبها وتطويرها إيمانياً وتربوياً وعلمياً وشرعياً»، وعُرف ببره بوالديه وصلته لأرحامه والتماس العذر لكل من يسيء إليه، بل ويحسن الظن.

لقد أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات بلغت نحو ١٥ كتاباً، منها: «من أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية»، «الرسول قدوة الأمة الوسطية».. وغيرهما.

وظل صاحب همة عالية في دعوته لدينه وتصحيح مفاهيم الشباب ودعم كيان الأسرة المسلمة حتى فاضت روحه لبارئها في ٢٥ شعبان ١٤٣٢هـ/ ٢٦ يوليو ٢٠١١م[1]. ■

أبو المكارم عبدالحي.. ونجاح ثورة يوليو ١٩٥٢م

يعد من أكفأ «الضباط الأحرار»، وكان له دور مؤثر يوم ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بمصر، إنه اللواء أبو المكارم عبدالحي أحمد سعد، وشهرته أبو المكارم عبدالحي.

ولد بقرية ميت سلسيل في محافظة الدقهلية بمصر، في ١ يونيو ١٩٢٠م، وتربى بها وتعلم في مدارسها، والتحق بالكلية الحربية وتخرج فيها عام ١٩٥٠م، لكنه فُصل من الخدمة لاختلافه مع عبدالناصر

نظام الدين عبدالحميد.. والعمل الدعوي بالعراق

كان واحداً من الأوائل الذين تعرفوا إلى دعوة الإخوان المسلمين منذ وصولها للعراق على يدي د. حسين الدين كمال، إنه نظام الدين بن الملا عبدالحميد بن الملا أحمد الشيخ بزيني، الذي ولد في كركوك بالعراق عام ١٩٢٢م، وكان والده إماماً وخطيباً في مدينة كركوك؛ لذا نشأ في أسرة علمية شرعية ملتزمة.

توفي والده وهو طالب؛ فتحمل أعباء أسرته وإخوته منذ صغره من خلال عمله في إصلاح الساعات، فتعلم منها الدقة في العمل والحفاظ على المواعيد.

تخرج عبدالحميد في كلية الإمام الأعظم ببغداد، وأخذ العلوم الشرعية من أبيه وعلماء العراق الشرعيين آنذاك، ومنهم الشيخ مصطفى النقشبندي وغيره، كما حصل على الشهادة العليا في الدراسات الفقهية (الماجستير)، وعمل فترة أستاذاً في كلية الشريعة بجامعة بغداد.

أثرى المكتبة بالعديد من المؤلفات في الفقه والتفسير والدعوة ومقالات في مجلات إسلامية، محلية وعربية، وكتب مؤلفات عديدة في الفكر الإسلامي والشريعة وتفسير القرآن الكريم، أبرزها: «مفهوم الفقه الإسلامي وتطوره وأصالته ومصادره»، «تفسير القرآن الكريم باللغة الكردية».. وغيرهما.

تعرف إلى دعوة الإخوان بالعراق، وكانت له علاقة خاصة بالشيخ محمد محمود الصواف، حتى بعد خروجه من العراق.

توفي صباح يوم ١٩ ذي الحجة ١٤٤٣هـ/ ١٨ يوليو ٢٠٢٢م، بمدينة برستل في بريطانيا عن عمر ناهز ١٠٠ عام[٣].■

محمد بن إسماعيل العمراني.. الفقيه اليمني

ولد أبو عبدالرحمن القاضي محمد بن إسماعيل العمراني الصنعاني في مدينة صنعاء القديمة باليمن، في ٢٢ ربيع الأول ١٣٤٠هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٩٢١م، في أسرة علم ودين، فالتحق بالمدرسة الابتدائية ودرس القرآن الكريم، وكان صاحب همة في طلب العلم منذ الصغر، وأكمل دراسته في الجامع الكبير على يدي العديد من علماء اليمن، وعمل بالتدريس في سن مبكرة وهو ابن ٢٥ عاماً.

واعتبر الشيخ العمراني أحد أشهر علماء اليمن المعاصرين فيما يتعلق بالعلوم الشرعية والفقهية والدينية، وأسند له منصب مفتي الديار اليمنية، ووصلت شهرته لبلدان عربية كثيرة؛ فتوافد إليه العلماء وطلاب العلم من كل بلد لزيارته وتلقي العلم على يديه.

ظل منافحاً عن دينه، مصححاً للمفاهيم المغلوطة عنه، من خلال الدروس في المساجد والإذاعة وغيرهما، وعُرف باعتداله ووسطيته في مسيرته العلمية والعملية، ورغم ذلك فإنه تعرض لحملة شنعاء بعد ثورة اليمن من قبل المتشددين.

ظل على مواقفه المعتدلة والمتسامحة التي اشتهر بها حتى توفاه الله في ليلة الإثنين ٢ ذي الحجة ١٤٤٢هـ/ ١٢ يوليو ٢٠٢١م، عن عمر ناهز ٩٩ عاماً[٤].■

كونه عضواً بجماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م، وحُكم عليه بالإعدام، لكنه استطاع الخروج من مصر وظل خارجها حتى أصدر السادات عفواً عنه فعاد لوطنه.

تعرف أبو المكارم على جماعة الإخوان في وقت مبكر، وكان أحد صلة الوصل بين الإخوان و«الضباط الأحرار»، ووقت الثورة حاصر بصحبة عبدالمنعم عبدالرؤوف القصر الملكي برأس التين، حتى أُجبر الملك فاروق على التنازل عن العرش، وحصل على العديد من الأوسمة والنياشين، منها «نيشان محمد علي»، و«نجمة فلسطين».

وفي الخارج ظل يعمل من أجل قضية وطنه في العديد من المحافل الدولية والشعبية، وكان له رأي في وحدة مصر مع سورية، وظل كذلك حتى عاد لمصر في عهد السادات وتوفي يوم الأربعاء ٣١ يوليو ١٩٨٥م[٢].■

الهوامش

(١) عادل العصفور: نجيب خالد العامر.. صاحب الهمة العالية، مجلة «المجتمع»، ٢٢ أغسطس ٢٠٢٢م، وانظر أيضاً: محمد الملا الجفيري: نجيب العامر قبس من حياته الدعوية وعرض لجهوده الفكرية، ط١، ٢٠١٤م.

(٢) أبو المكارم عبدالحي: موقع إخوان ويكي، ٦ يناير ٢٠٢١م.

(٣) وفاة العالم والمفسر العراقي نظام الدين عبدالحميد عن عمر ١٠٠ عام: ١٩ يوليو ٢٠٢٢م.

(٤) نور الدين قلالة: رحيل الشيخ العمراني مفتي اليمن وعالمها، إسلام أون لاين.

العالَم الافتراضي.. وأولادنا!

د. يحيى عثمـــان
استشاري تربوي وعلاقات أسرية
مستشار البحوث بمجلس الوزراء سابقاً
y3thman1@hotmail.com

أستاذي الكريم، أكتب إليكم وقد مقتُّ نفسي وصديقة عمري وكل ما حولي حتى والديّ، فهم السبب فيما ولغت فيه من خطيئة، نشأت في أسرة شكلها مثالي، أب عصامي بدأ حياته مهندساً في مصنع، والآن يمتلك عدة مصانع، يوفر لأسرته فوق ما تحتاج، كريماً في كل ما هو مادي، لكنه شحيح في الحب، لأنه لا يعرفه ولا يعترف به، حفظت وإخوتي نصائحه كيف هي قيمة الشهادة والنجاح، وقد مللنا حديثه عن إنجازاته التي تتمحور فقط في عمله، نقضي العطلات في أفخم الفنادق، ونذهب دونه، وعند عودتنا لا يبدي أي قدر من عبارات الشوق، حتى لو عبّرنا عن شوقنا له ينظر إلى الفواتير ويقول: «واضح أنكم تمتعتم جيداً»!

أُمٌّ تتفانى في خدمتنا، ولكنها صورة مطابقة لأبي، تعمل طبيبة، وتتابعنا من خلال التقارير المدرسية، كل اهتمامها ينصب على تفوقنا الدراسي، وأدائنا للعبادات، تبذل قصارى جهدها لتوفير متطلباتنا والتوفيق مع متطلبات عملها كطبيبة، ولكنها لم تجلس معنا يوماً في حديث ودي كأُمٍّ مع أولادها، أنا الأبنة الوحيدة ولي أخوان يكبراني، كل منا يعيش في غرفته، علاقتنا بأمي عندما تصرخ علينا للاستيقاظ حيث يكون السائق في انتظارنا، وعند العودة نجلس لتناول الغداء والكل يتابع الهاتف، أما العشاء فعادة يكون «دليفيري»، وكل في غرفته!

علاقة والدينا بنا تتجدد شهرياً عندما يأتي التقرير الدراسي، فالهدايا المادية للمتفوق، والسخرية والتقريع لمن أخفق، إذا حصل وتلاقينا فسلسلة الأوامر والمواعظ والتنبيهات، أما خلاف ذلك فنحن آلات تسير على نمط ممل.

تعرفت على الإنترنت منذ صباي عندما أهداني والدي أحدث هاتف

لتفوقي ودخولي المرحلة المتوسطة، ومنذ ذلك الوقت وأصبح العالم الافتراضي عالمي الحقيقي، صديقتي وسبب مأساتي زميلتي بالفصل، وهي وحيدة والديها، وهم جيران لنا، والدها يعمل بالخارج ووالدتها طبيبة وزميلة والدتي بالمستشفى، كنت أنا وصديقتي تقريباً نقضي معظم الأوقات معاً، دلتني صديقتي على المواقع الإباحية، وأصبحتْ متعتنا التي لا نفارقها، وتعرفنا على العلاقة بين الأنثيين، ووقعنا في الخطيئة معاً، حدث ذلك عندما كانت والدتها لديها نوبة ليلية تنتهي حوالي الساعة العاشرة مساء، وقد استسمحت والدتي أمكث مع صديقتي حتى تعود ووافقت والدتي، تكرر ذلك أسبوعياً، حيث كنا ننتظر يوم النوبة الليلية لوالدتها لتكرار الخطيئة.

اليوم في التربية الإسلامية شاء الله تعالى أن تتحدث المدرسة عن عفة المرأة المسلمة، وتطرقت إلى الرذيلة التي قد يمارسها بعض من طمست فطرته من غير المسلمين وحكم الشرع في إتيان المرأة للمرأة، ووجدتني شاردة فيما أنا فيه وصديقتي، ذهبت إلى البيت وأغلقت غرفتي عليَّ وجلست أبكي وقررت الكف عن هذا الإثم، ورن هاتفي وإذ بالشيطان -أقصد صديقتي- تبشرني أن والدتها لديها نوبة ليلية اليوم، حدثتها بقراري، وأنني قررت ألا أذهب إليها، ولكن بناء على وعد منها أننا لن نفعل، ذهبت وضعفت، وقد تكرر ذلك عدة مرات، وفي كل مرة أعود وأبكي ويزداد احتقاري لنفسي، لقد فكرت في الانتحار تخلصاً من الضياع الذي أعانيه، وانتقاماً من والديّ، ولكني لم أستطع تنفيذ ذلك، فهل من حـــل لديكم؟

المعذبة

العالم الافتراضي أصبح عالمي الحقيقي حتى أغوتني صديقتي بالوقوع في الخطيئة

على غير ما تعود القارئ الكريم، سأبدأ بالحل، ثم التحليل، والدروس المستفادة من مأساة ابنتنا المعذبة:

إلى ابنتنا المعذبة:

– عليك ألا تمقتي نفسك، بل احمدي الله عز وجل أنْ وهبك نفسك تلومك على فعل ما يُغضبه سبحانه.

– نعم، لقد وقعت في إثم عظيم، وكبيرة من الكبائر، ولكن الله تعالى هو التواب الغفار، يقول: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ (الزمر: ٥٣)، ومن شروط التوبة الندم على فعل الذنب والإقلاع عنه والعزم على عدم العودة، من رسالتك يتضح أنك ندمت، وهذا شعور طيب، ولكن ما لم يصاحبه عزم وإرادة قوية على الإقلاع عن الذنب وعدم العودة؛ فسيتكرر الخطأ؛ لذا عليك فوراً بقطع علاقتك بهذه الفتاة من خلال تغيير رقم هاتفك، وإخبار والدتك أنك قد اختلفت معها وقررت قطع علاقتك بها، وإن أصرّت والدتك أن تذهبي لصديقتك يوم نوبة والدتها، أسرّي لوالدتك أن صديقتك تتحدث في موضوعات غير مهذبة؛ بما يجعلها تخاف عليك منها.

– هناك فرق بين الندم على السلوك الخاطئ الذي أوقعنا في الذنب واحتقار النفس، فالندم شعور طيب ودافع للتوبة، بل شرط من شروطها، ويجب على المذنب أن يستحضر الندم على خطيئته ويتذكر شعوره بالذلة لأنه عصى الله واتبع سبيل الشيطان، ويكون ذلك دافعاً للاستغفار ومانعاً من العودة لهذا الذنب، أما احتقار النفس فهذا من سبل الشيطان ليصيب المسلم باليأس من العودة لله وإصلاح ذاته فينغمس أكثر في الخطيئة.

– حاولي الانضمام إلى مجموعة لحفظ القرآن الكريم بالمسجد المجاور لك، أو من خلال الإنترنت، كما أوصيك بصيام ما تيسر لك، فإنه من العبادات الجليلة التي تساعد على ضبط الشهوات، واحرصي على تكوين صداقات طيبة، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: «المرءُ

هناك فرق بين الندم واحتقار النفس.. فالأول دافع للتوبة والثاني سبيل لليأس

على دينِ خليلِه فلينظرْ أحدُكم مَن يُخالِلُ» (أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد واللفظ له).

– احرصي على شغل وقتك بما هو مفيد سواء بالقراءة في الموضوعات التي تشد انتباهك، مثل قصص الصحابة والصالحين، وهناك على «يوتيوب» مئات القنوات الطيبة سواء الإسلامية منها أو التي تتناول موضوعات المعرفة المختلفة، مثل تعليم اللغات، كما أن من المهم ممارسة رياضة تفضلينها، ودائماً أشغلي فكرك إما بالذكر أو بموضوع مفيد، ولا تذهبي إلى فراشك إلا وقد غلبك النوم، وبمجرد أن تستيقظي غادري فراشك، فإن ذلك يساعدك على تجنب همزات الشيطان.

– يجب ألا نغلل خطأنا على الآخرين، أنت بالغة ومكلَّفة، فأنت مسؤولة عن تصرفاتك، وإن قصَّر والداك أو غوتك صديقتك، وهذا الشيطان يتبرأ من الذين إتبعوه؛ ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم﴾ (إبراهيم: ٢٢).

إلى الآباء والأمهات:

أولاً: التربية: إن أولادنا يحتاجون إلى التربية وليس فقط التغذية، وسماتها في:

- نشاط تفاعلي بين المربي والمربَّى: فالتربية ليست إصداراً لأوامر أو نصائح في اتجاه واحد من الوالد لابنه، ولكنها قراءة لحالة الابن ثم التفاعل معه بناء على حالته، ومرة أخرى فهم رد فعل الابن، ثم اختيار الأسلوب المناسب لرد فعل الابن وهكذا.

- استثارة الدوافع لدى المربَّى: فقد يستجيب الولد لتوجيه والده، ولكن إذا نجح الوالد في استثارة دوافع الولد، فقد ضمن ليس فقط الفعل المراد بكفاءة، ولكن أيضاً استمرارية الأفعال ذات العلاقة.

- تنمية المعارف وصقل المهارات وإطلاق القدرات: فالتربية منظومة لتنمية العمليات العقلية وتدريب الجوارح على كفاءة التعامل معها، وإطلاق القدرات الكامنة في داخل المربَّى.

أما مجالات التربية فهي:

- الروح: ربط المربَّى بمعية الله، والمرجعية الدينية للعلوم.

- العقل: أدوات التفكير والتزود المعرفي.

- الوجدان: التفاعل الوجداني مع أسرته وأصدقائه، وكيفية التعبير عن مشاعره وفهم مشاعر الآخرين وحسن التفاعل المناسب معها.

- البدن: التربية البدنية وممارسة نمط صحي للحياة.

ولن يستطيع الوالدان القيام بفروض التربية إلا إذا تبادلا الحب والثقة مع أولادهما.

ثانياً: الحب: رغم قيمة وأهمية توفير المستلزمات المادية لحياة كريمة لأولادنا، فإن التربية الوجدانية تعتبر مفتاح كل أنواع التربية، وهي تأتي قبل التربية الروحية، يقول المولى عز وجل عن المصطفى صلى الله عليه وسلم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، يجب أن يكون حبنا لهم لذواتهم وليس لما يحققونه من نتائج دراسية، أي حب غير مشروط.

يمكن للوالدين أن يكون للحب المتبادل بينهما وولدهما من أكثر القناعات لاستثارة الدوافع، وإن التربية بالحب لا تعني الميوعة، بل يجب الحزم، ولكن دون قسوة، ويتم ذلك من خلال:

١- أدوات التواصل الوجداني:

- التواصل اللفظي: يجب التعبير عن حبنا لأولادنا من خلال حديثنا معهم: «ما أخبارك يا حبيبي؟»، يجب اختيار ألفاظ تعبر عن حبنا وشوقنا لهم بعد عودتهم من المدرسة أو عودتنا من العمل، وليس فقط الحرص على الألفاظ الرقيقة، بل نبرة الصوت الحانية.

- التواصل الجسدي: إن بث مشاعر الحب لأولادنا من خلال تقبيلهم واحتضانهم يشعرهم بالأمان النفسي.

- التواصل البصري: لعل نظرة حنان من أحد الوالدين تزيل ما بنفس الولد من ضيق، وتشعره بقيمته لديه.

٢- الاهتمام: يجب أن يستشعر الأولاد اهتمامنا بهم من خلال تصرفاتنا معهم، وعلينا أن نوضح ذلك لهم.

٣- التقدير والاحترام: إن تقديرنا واحترامنا لأولادنا يساعدهم على نمو شخصيتهم بطريقة سوية، ويساعدهم على صياغة صورة ذهنية محفزة عن أنفسهم، ويقربنا نفسياً منهم.

٤- المعايشة: المعايشة تتم من خلال المشاركة في كل ما يمكن من أنشطة، التي يتم من خلالها بث التعبير عن حبنا لأولادنا وبث القيم التي تتناسب وإدراكاتهم.

ثالثاً: الثقة: الثقة من أهم دعائم التربية، ولها ٣ محاور:

١- ثقة الوالدين في الأولاد: إن التعامل مع الأولاد بثقة بعيداً عن الشك والريبة فيهم يعتبر من أهم الدوافع للارتقاء بسلوكياتهم، هناك فارق كبير بين متابعة تصرفات الأولاد والتجسس ومراقبتهم رقابة لصيقة «خانقة» تفقدهم ثقتهم بأنفسهم.

٢- ثقة الأولاد بأنفسهم: إن من أهم القيم الشخصية التي يجب أن يحرص عليها المربون ترشيد الولد لتنمية وتطوير ثقته بذاته، إن ثقة الولد بنفسه تساعده على النمو النفسي وتحمل مسؤولياته واتخاذ القرار المناسب له، كما أنها أساس أي إنجاز يسعى لتحقيقه.

٣- ثقة الأولاد بوالديهم: إن الوالدين هما المصدر الأول للتربية، ويظل دورهما مؤثراً مهما تعددت المصادر التربوية، ولكن لا يتم ذلك إلا إذا كانا محل ثقة من أولادهما، وثقة الأولاد في والديهم لها شقان؛ أولهما: ثقة الدعم؛ فيجب أن يثق الأولاد ويرسخ في وجدانهم أنه مهما كان الخطأ الذي ارتكبوه، فإننا سندعمهم لمعالجته، ثانيهما: ثقة التوجيه؛ فلا حرج مطلقاً أن يسألني ولدي وأقول: لا أعرف، دعني أبحث أو أسأل، احذر كل الحذر أن يكتشف ولدك أنك تعطيه معلومة عن جهل، وإذا اهتزت ثقتهم بقيمة ما تقوله لهم فليس من السهل توجيههم تربوياً بعد ذلك.

أسباب وقوع البنتين في الخطيئة:

البنتان مجني عليهما قبل أن تكونا مخطئتين، من خلال:

- الفراغ الوجداني والعاطفي.
- فقدان العلاقة والثقة بالوالدين.
- عدم المتابعة.

إن التسونامي اللاأخلاقي الذي يجتاح العالم يهدد قيمنا، وعليه فمسؤوليتنا تجاه أولادنا تضاعفت حتى نكون عوناً لهم على اتباع قيمنا السامية، والله المستعان.■

ربانيون مع الأجيال..

عقوبة الله تعالى لـ«الشاذين»

د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

يتخافت الأحفاد والأبناء، والجد الداعية الرباني يلاحظ ذلك جيداً، فيسألهم: ما الأمر؟ فمن عادتكم ألا تخفوا عليّ شيئاً، بل وتطلبون تعليقي دائماً!

فينبري أكبر الأحفاد ويوضح الأمر: يُقال: إن هناك رجالاً وشباباً اختاروا التحول الجنسي وهم الآن في غاية من الضيق والكآبة، بل والرغبة في الانتحار، وبعضهم أُكره على رفع علم الشاذين ومُنع من النقد وإبداء الرأي ومخالفة الشاذين!

الجد مستعيناً بالله: حسبنا الله ونعم الوكيل، إن هذا الأمر الذي أنبأ عنه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو عمل الفاحشة والإعلان عنها، وأخبرنا القرآن الكريم عن قوم سيدنا لوط عليه السلام الذين كانوا يمارسون الشذوذ الجنسي، فحذرهم لوط عليه السلام ووعظهم، فلم يتعظوا ولم ينزجروا، وفي ذلك يقص علينا القرآن الكريم خبر جريمتهم وشناعة شذوذهم، وعقوبة الله تعالى لهم، حتى يبتعد الناس عن هذه الفعلة الشنيعة الخسيسة، يقول الله تعالى: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝٨١ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٨٢ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝٨٣ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف).

أيها الأبناء.. أيها الأحفاد، إن الشذوذ في الشهوات، وهو الأمر غير الطبيعي، هو الذي يدمر البشرية، فلذلك احذروا وحذّروا غيركم من سلوك هذا الطريق أو مرافقة من يمارس الشذوذ والفاحشة، فالشذوذ شهوة شاذة؛ لأن الله جعل لذة الفطرة الصادقة في تحقيق سُنة الله الطبيعية، فإذا وجدت نفس لذتها في نقيض هذه السُنة، فهو الشذوذ إذن والانحراف والفساد الفطري[1].

فهذه هي الجاهلية الحديثة في أوروبا وفي أمريكا؛ ينتشر فيها هذا الانحراف الجنسي الشاذ انتشاراً ذريعاً بغير ما مبرر إلا الانحراف عن الاعتقاد الصحيح، وعن منهج الحياة الذي يقوم عليه[2].

أيها الأبناء والأحفاد، انظروا واقرؤوا نهاية الشاذين من قوم لوط عليه السلام، حيث قال الله تعالى عنهم، كما جاء في التفسير: «وأمطرنا عليهم مطراً عظيماً، حيث رميناهم بحجارة من طين، وقلبنا القرية، فجعلنا عاليها سافلها، فتأمل -أيها الرسول- كيف كان عاقبة قوم لوط المجرمين؟ فقد كانت عاقبتهم الهلاك والخزي الدائم[3].

أبنائي وأحفادي، إن الإسلام دين الفطرة والنظافة والعفة والطهارة، وإن الشذوذ وساخة وانحطاط وقذارة؛ لأن الرجل إنما يأتي الرجل في محل القذارة[4].

لذلك كله شدّد العلماء في أقوالهم على من فعل اللواط وهو الشذوذ كفعل قوم لوط عليه السلام، وقد ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله إلى أن اللائط يُلقى من شاهق ويتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط، وذهب آخرون من العلماء إلى أنه يُرجم سواء كان محصناً أو غير محصن، وهو أحد قولي الشافعي رحمه الله، والحجة ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»، وقال آخرون: هو كالزاني؛ فإن كان محصناً رجم، وإن لم يكن محصناً جلد مائة جلدة، وهو القول الآخر للشافعي[5].

والمطلوب من الجميع إنكار الشذوذ فكراً ورأياً وسلوكاً وقانوناً، ويجب أن يشمر الجميع للدعوة إلى الإسلام وإلى العفة والطهارة والأخلاق والقيم التي جاء بها الإسلام، وإلى الزواج الشرعي الذي شرعه الله تعالى في كتابه، وحث عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأن نتصدى لحملات الشذوذ بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالحجة والبرهان، وبالأدلة وأوضح البيان، وألا يكون دعاة الشذوذ أنشط وأقوى من دعاة الإسلام والفطرة السليمة، وأن يكون لأبنائنا وبناتنا دور فعال عبر أجهزة التواصل الاجتماعي وفي المعاهد والجامعات والمدارس، وذلك بعمل المحاضرات والمناظرات ومواسم التوعية القيمية، منسقين مع الجهات الحكومية وجمعيات المجتمع المدني، لمحاصرة دعاة الشذوذ والرذيلة.

والحمد لله رب العالمين.■

الهوامش

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣.
(٢) المرجع السابق.
(٣) جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم.
(٤) تفسير الشعراوي.
(٥) محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، ج٢.

قراءة في مستقبل الأديان بالعالم (2 - 3)

ليَبْلُغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار

د. أحمد عيسى
دكتوراة في العقيدة وأصول الدين

تتغير الصورة الدينية للعالم بسرعة، مدفوعة في المقام الأول بالاختلافات في معدلات الخصوبة وحجم السكان الشباب بين الأديان الرئيسة في العالم، وكذلك بسبب الأشخاص الذين يتحولون إلى ديانات أخرى.

فمن المتوقع أن يدخل في الإسلام ١٢ مليوناً، بينما يخرج من المسيحية ١٠٦ ملايين على مدى العقود الأربعة المقبلة، وسيظل المسيحيون أكبر جماعة دينية، لكن الإسلام سينمو بشكل أسرع من أي دين رئيس آخر، وإذا استمرت الاتجاهات الحالية، فإن عدد المسلمين بحلول عام ٢٠٥٠م سيساوي تقريباً عدد المسيحيين حول العالم.

فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة ومعه ١٠ آلاف، ثم حضر حجة الوداع ١٤٤ ألفاً، ثم وصل عدد المسلمين الآن إلى مليارين، وفي ازدياد، وهذا تحقيق لنبوءة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فعن تميم الدَّاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليَبْلُغن هذا الأمر ما بلغ اللَّيل والنَّهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخله اللهُ هذا الدِّين، بِعِزِّ عَزِيزٍ أو بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزّاً يُعِزُّ الله به الإسلام، وذُلّاً يُذِلُّ الله به الكفر» (رواه أحمد، على شرط مسلم)، وكان تميم الدَّاري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخيرُ والشَّرَف والعزُّ.

الإسلام الأسرع نمواً:

إذا استمرت الاتجاهات الديموغرافية الحالية، فإن الإسلام سوف يلحق بالركب بحلول منتصف القرن الحادي والعشرين، فالمسلمون هم المجموعة الدينية الرئيسة الوحيدة التي يُتوقع أن تزداد بوتيرة أسرع من عدد سكان العالم ككل، فبين عامي ٢٠١٠ و٢٠٥٠م، من المتوقع أن يرتفع إجمالي عدد سكان العالم إلى ٩.٣ مليارات نسمة، بزيادة قدرها ٣٥%، وخلال الفترة نفسها، من المتوقع أن يزداد عدد المسلمين بنسبة ٧٣٪، ومن المتوقع أيضاً أن يرتفع عدد المسيحيين، ولكن بشكل أبطأ، بنفس معدل سكان العالم (٣٥%) بشكل عام، نتيجة لذلك، فبحلول عام ٢٠٥٠م سيكون هناك تكافؤ قريب بين المسلمين (٢.٨ مليار، أو ٣٠% من السكان) والمسيحيين (٢.٩ مليار، أو ٣١%)، ربما لأول مرة في التاريخ.

ما بعد عام ٢٠٥٠م:

العلم عند الله تعالى، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم فيه إشارة بمستقبل الإسلام حيث قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها..» (صحيح مسلم).

يصف هذا التقرير كيف سيتغير المشهد الديني العالمي إذا استمرت الاتجاهات الديموغرافية الحالية، ولكن مع مرور كل عام، هناك احتمال أن تؤدي الأحداث غير المتوقعة مثل الحروب، والمجاعات، والأمراض، والابتكارات التكنولوجية، والاضطرابات السياسية، إلى تغيير حجم مجموعة دينية أو أخرى.

فماذا سيحدث لمسارات السكان إذا تم توقعها في النصف الثاني من هذا القرن؟ هل يفوق عدد المسلمين عدد المسيحيين في النهاية؟ وإذا كان الأمر كذلك، فمتى؟ إذا امتد النموذج إلى ما بعد عام ٢٠٥٠م، فإن حصة المسلمين من سكان العالم ستتجاوز عدد المسيحيين، وبحلول عام ٢٠٧٠م، سيكون المسلمون ٣٥%، والمسيحيون ٣٤%.

وصدق الله العظيم القائل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف: ٩).■

جمعية التكافل
لرعاية السجناء
الأقربون أولى بالمعروف

الأمانة العامة للأوقاف
Kuwait Awqaf Public Foundation

ج9 / ت ج د 2 / 2023

حملة

ابشروا بالفرج

لمساعدة أسر السجناء

المـرحلة الثالثة

التبرع .. عن طريق الاستقطاع البنكي أو عن طريق كي-نت

بيت التمويل الكويتي
011140010577

بنك الكويت الوطني
1000314577

24834414 94064061
www.altkaful.com

@Takaful.Association
@altakaful

نمـاء الخيريـة
NAMAA CHARITY
جمعية الإصلاح الاجتماعي

10 أبواب للخير

بتبرعك تساهم بـ 10 مشاريع متنوعة

- كسوة اليتيم
- سقيا الماء
- علاج مرضى الروماتويد
- علاج مرضى السرطان
- مشروع مرضى ms
- مشروع برد عليهم
- الأسر المتعففة
- كفالة طالب مدرسي
- كفالة ذوي الاحتياجات الخاصة
- كفالة يتيـم

1888833

نهتـم بالإنسـان

ترخيص رقم: ع/ت ج ٥٥٣ م/٥/٢/٤٣٣ | يمنع الجمع النقدي